رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القرآن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

تأليف

أحمد خليل جمعة

دار الكلم الطيب
دمشق ـ بيروت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القرآن

وأصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

حُقُوق الطَّبع مَحفوظَة

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
الطبعة الأولى

دار الكلم الطيب

دمشق - حلبوني - شارع مسلّم البارودي - هاتف ٢٢٣٩٨٨٦ ص.ب ٣٠٥٥٢
بيروت - ص.ب: ١١٣/٦٣١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدّمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف : ١ - ٣]

أَحْمَدُكَ ربّنا حَمْداً يوافي نعَمك ، ويكافِئُ مزيدَك ، وأحمدك ربَّنا حمداً يليقُ بجلالِ وجهك ، وعظيم سُلْطانك ؛ وأسألُك اللهم غيثَ فواضِلك الحِسَان ، فإنَّك عظيمُ الجودِ ، غامر الإحسان ، سبحانك لا نُحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك .

فَلَكَ اللهم الحمد على نعمةِ التَّوفيق للحياةِ مع أكْملِ كُتُبِك المنزَّلَةِ لهدايةِ خَلْقِكَ مِنْ خزائنِ حكْمَتِكَ ، ذلك الكتاب لا ريبَ فيه ، قد أُحكمتْ آياتُه ، ثم فُصِّلَتْ بالهُدى والحقِّ بشيراً ونذيراً ، وسراجاً منيراً ، يهدي للتي هي أَقْوَم .

مَنِ ابتغى الهدى في غيرهِ أضلَّهُ الله ، ومَنْ عانَده أَكبَّهُ الله . هو الحقُّ الذي أضاءَ اللهُ به الوجودَ ، وهو الصِّراطُ المستقيم ، وحَبْلُ اللهِ المتين ، مَنِ اعتصمَ به فقد استمسكَ بالعُروةِ الوثقى لا انفصام لها ، ومَنْ تأمَّمهُ فازَ في الآخرة والدُّنيا .

والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله محمّد خاتَم الأَنبياءِ والمرسلين ، أرسله الله بالهدى ودِيْنِ الحقِّ ليظهره على الدِّيْنِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشركون . وبعد :

فقد كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس ، عَرَفُوا قَدْرَ القُرآن العَظيم ، فَبَلَغُوا ذرْوةَ الفضائل ، وكانوا على بصيرةٍ منْ أمرهم ، وهدىً من ربِّهم .

فالصَّحابةُ الكرامُ ـ رضوان الله عليهم ـ همُ الذين بلَّغُوا عن رسولِ الله ﷺ ما ورَّثَهُم منَ الهدى والهداية والعِلْم ، لم

يكتموا النَّاس شيئاً ممّا علموا منَ الدِّيْن ، فهداهم الله عزَّ وجلَّ ، وهدى بهم ، وكانوا همُ الأصل الذي يُرْجَعُ إليه في الأصول ، والنَّبْعُ الذي تَتَفَجَّرُ منه عيونُ الإيمانِ واليقين ، رفَعَ اللهُ بُحبِّهم شَأْنَ مُحِبّيهم الذين اتبعوهم بإيمان ، فألْحَقَهُم اللهُ بهم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطُّور : ٢١] .

أولئك الذين هداهم اللهُ ، وأولئك الذين أخرجَ اللهُ بهم النَّاسَ منَ الظُّلماتِ إلى النُّور ، فلهم في عنقِ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ مِنَّةٌ ، إذْ جَعَلُوا القُرآن العظيمَ ربيعَ قلوبهم ، وتعاملوا معه معاملةً صحيحة ، فخلعوا الرَّاحاتِ ، وأعطوا المجهودَ في الطَّاعاتِ ، فكانوا كما عَنَاهُمُ القائل :

مَنَــع القُــرآنُ بــوعـدِهِ ووعيــدِهِ
مُقَــلَ العُيــونِ بــليْــلِهَــا لا تَهْجَعُ
فَهِـمُـوا عن المَــلِكِ الكــريم كَلامَـهُ
فَهْــمــاً تــذلُّ له الرِّقَـابُ وتخضـعُ

لقد خَالطَ القُرآنُ الكريمُ لحومَهم ودماءهم ، فوضعوه على

أفئدتهم فانفرجتْ ، وضمُّوه إلى صدورهم فانشرحت ، وجعلوه لظلمتهم سِرَاجاً ، ولنومِهم مهَاداً ، ولسبيلهم منْهاجاً .

اتخذوا القَرآن منارَ سبيلهم ؛ فيفرحُ النّاس ويحزنون ، وينامُ النَّاس ويسهرون ، ويفْطرُ النَّاسُ ويصومون ، ويأمَنُ النَّاسُ ويخافون ، فهم خائفون حذرونَ وجلون ، مُشْفِقُون مشمِّرون محزونون ، يخافون منَ العَذَاب ، ويرجُون ما يُوعَدُون منَ الثَّواب ، اطمأنوا على شرائعِ القُرآن ، واستناروا بنورِ الرَّحمن ، فقاموا على خدمةِ القُرآن ، فوصلوا ـ بفضل الله ـ إلى أعالي الجِنَان .

لقد جعلَ الصَّحابة حياتَهم وقْفاً على خدمَةِ القُرآن الكريم في جميع علومِهِ ، فاهتمُّوا بحفْظِهِ واستظهارِه ، وترتيله ، وتفسيره ، وجَمْعِه وكتَابته ، وإقرائه ، ونَشْرِ عُلومِهِ ، وعرفوا حقَّ القُرآن عليهم ، فقاموا بأداءِ هذا الحقّ ، ونقلوه إلى النَّاس ، واشتروا الحياة الباقية بالفانية ، فنِعْمَ ما اتَّجروا ، جمعوا الخَيْرَيْن ، وربحوا الدَّارَيْن .

وسيجدُ القَارىء الكريم ـ في هذا الكتاب ـ اهتمامَ أصحابِ رسول الله ﷺ بالقُرآن العظيم ، وكيف بنوا الأمجادَ به ، وكيفَ أخلصوا له ، فكانوا سَادة السَّادات :

أولئكَ آبائي فجئْني بمثلِهم
إذا جَمَعَتْنا يا جريرُ المجامعُ

اللهمَّ وفّقْنَا لخدمةِ كتابِكَ الكريم ، واجعلنا ممَّن يستمعونَ القَولَ فيتَّبِعُون أَحْسَنَهُ ؛ واحشُرنا مع أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، إنَّك نِعْمَ المولى ونِعْمَ النَّصير .

وكَتَبَهُ

خادم القرآن الكريم

أحمد خليل جمعة

دمشق ـ حرستا ـ في ٩/ذي الحجّة/١٤١٤ هـ

٢٠/أيّار/١٩٩٤ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البابُ الأوَّلُ
القُرآنُ الكريم ينبوعُ الحَياة

- **الفصل الأوّل :**

في رحاب التَّنزيل .

- **الفصل الثّاني :**

أثرُ القُرآن الكريم في فُصَحاء قريش .

- **الفصل الثّالث :**

تأثير القرآن الكريم بنفوس الصَّحابة .

- **الفصل الرابع :**

القرآن الكريم يهزُّ كيان الأنصار .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

في رِحَاب التَّنْزيل

* القرآنُ الكريمُ فيهِ ما تشتهيهِ الأنفسُ ، وتلذُّ الأَعيُن ، فيه لذّاتٌ عقليةٌ وروحيةٌ ، وفيه طمأنينةٌ ذوقيةٌ وجدانيّة ، غاصَ العلماءُ في جواهرِ معانيهِ ، وضربَ أربابُ اللغة على أوتار مثانيه ، منذ أنْ نزلَ قول الله الحقّ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] إلى أنْ خُتِمَ بآخر آية نزلتْ ، وهي قوله : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

* ففي العصر النّبويّ أخذَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يغترفونَ منْ بحارِ أنوار التَّنزيل ، فامتزجَ القرآنُ بلحمهم ودمهم ، فقد فهموا كتابَ الله عزَّ وجلَّ ، لأنَّهم عرفوهُ ، وتذوَّقُوا حلاوتَه ، وكيف لا ؛ وهم فُرسان البَلاغة ، وأمراءُ البيان ،

وملوكُ الفَصَاحة ؟ ! .

* لذلك لما وَرَدَ عليهم القرآن الكريم ، رأَوا أنَّهم أمامَ هيبةٍ رائعةٍ ، وروعةٍ مخوفةٍ ، وخوفٍ تقشعِرُّ منه الجُلود ، فأحسّوا ـ وهم الفصحاء ـ أنَّهم ضُعفاء أمام هذا الكمال العظيم ، فاستسلموا لبلاغتهِ ، وتعلَّقت قلوبُهم به ، وارتبطت نفوسهم بإعجازِه ، فخلدوا مع الخالدين في دنيا الخلود .

* ولذا فقد أَوْجَد الله عزَّ وجلَّ بالقرآن العظيم أعظم انقلابٍ في البشريّة ، بتأثيره في نفوسِ العرب ، إذ جعلهم بعد أميّتهم خير أمّةٍ أُخرجتْ للناس ، بل جعلهم أفصح الأُمم ، وسادة العجم ، ببركةِ هذا القرآنِ العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

[فصلت : ٤٢] .

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

أثر القرآن الكريم في فُصَحاء قريش

* حَلَّقَ رسولُ اللهِ ﷺ في آفاقِ الغيب ، وقرأَ في كتاب الكونِ ، وسُنَنِ اللهِ في حَيَاة المجتمعِ الإنساني ، أنَّ اللهَ سبحانه سيجعلُ منْ أهلِ القُرآن جِيْلاً يفتح الدُّنيا ، إلا أنَّ هنالك جماعة من كبار المستكبرين ، أعرضوا حَسَداً وبغياً ، ووقفوا مِنَ القُرآن الكريم وِقْفَةَ المُعَاند الذي لم يستسلمْ في الظَّاهر ، إلا أنَّ جمالَ القُرآن قد أَسَرَ قلوبَهم وقيَّد إراداتهم .

* جاء في الخَبَرِ : أنَّ طواغيتَ الكَفَرَةِ من قريش ، وصناديد الفجرة من كُبَّار الوثنيّة العُتَاة ، كانوا يتسلّلُون ـ في أوائلِ عَصْر المبعث ـ خفية عن قومهم ، ليسمعوا آيات من القُرآن الكريم دون أنْ يملكوا إرادتهم .

* روى ابنُ إسحاق في « السِّيرة النّبويّة » أنَّ أبا سُفيان بن

حرب العبشميّ ، وأبا جهل بن هشام المخزوميّ ، والأخنس بن شَريق الزّهريّ ، خرجوا ذاتَ ليلةٍ متفرقين على غير موعد ، إلى حيث يستمعونَ منْ رسول الله ﷺ وهو يصلّي ويتلو القُرآن في بيته ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمعُ فيه ، ولا أحد منهم يعلم بمكانِ صاحبيه ، فباتوا يستمعونَ له حتى إذا طلعَ الفجرُ ، تفرقوا فجمعهم الطَّريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ؛ ثمّ انصرفوا حتى إذا كانتِ الليلةُ التَّالية ، عَادَ كلٌّ منهم إلى مجلسهِ لا يدري بمكان صاحبيه ، فباتوا يستمعون للرَّسولِ ﷺ حتى طلع الفجر ، فتفرقوا ، وجمعهم الطَّريقُ ، فتلاوموا وانصرفوا على ألّا يعودوا ، لكنّهم عادوا فتسلّلوا في الليلة الثَّالثة وباتوا يستمعون إلى القُرآن[1] .

* وفي السِّيرة النّبويّة أيضاً : أنَّ الملأَ منْ قريش بعثوا أحدَ صناديدهم : عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليعرضَ عليه أموراً أرسلوه بها ، فقرأَ رسولُ الله ﷺ من سورة ﴿ فصلت ﴾ فعاد عتبةُ بعدها إلى قريش مأخوذاً ، فلمّا لحوه صاحوا : نحلفُ

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام (١/٣١٥) .

باللهِ لقد عاد أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهبَ به .

* هذا هو أثرُ القُرآن الكريم بأعداءِ القرآن ، فقد كان أولئك الغطارفةُ المشركون أرفعَ البشر فصاحةً ، وأبلغهم بياناً ، وأروعهم بلاغةً ، وأبرعهم منطقاً ، وأهداهم إلى طريق البراعة البيانيّة سبيلاً ، فكانَ القُرآن الكريم بكمالِ أسلوبه قد أذلَّ استكبارهم ، وسَخِر بغرورهم ، وقادهم إلى حيثُ لا يملكون مشيئتهم لاستماعِ صفاءِ آياته التي يتلوها رسولُ الله ﷺ قُربَ البيت العتيق .

* هذا و لم يأتهم رسولُ الله ﷺ بآيةٍ منْ مثْلِ ما أتى به المرسلون قبله ، وإنَّما كانت معجزته الكبرى هذا القُرآن العربيّ المبين ، يعرفون ـ كما لا يعرف سواهم ـ أنَّه معجزٌ ، وما عهدوا على رسولِ الله ﷺ كذباً قطّ ، لكنَّهم تصدُّوا في مواجهةِ الدَّعوة وهذا القُرآن الذي رفَضَ دِيْنَ آبائهم ، وسفَّه أحلامهم ، وهيمنَ على فصاحتهم .

* فآياتُ القُرآن الكريم التي أُعْطيها رسول الله ﷺ كانت تشريفاً وتكريماً له ، وإشارةً بمنزلته عند ربّه ، وتنبيهاً للغَافلين الذين لم تتبوأْ عقولهم مكانتها من الرُّشد في الإدراك .

* والقُرآن الكريم كتابٌ مُحْكَمٌ حكيمٌ ، غزيرُ المعاني ، لطيفُ المأخذ ، خالدُ التَّحدي ، وهو : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

[فصلت : ٣ و ٤] .

* تلكم إشارات لطيفة عن أثر القُرآن العظيم في نفوسِ فُصَحاء قريش ، إلا أنَّ شيطانَ الغرور دلّاهم[1] وزيّن لهم سوء أعمالهم فكانوا من أصحاب السَّعير .

* * *

(١) « دلاهم » : أوقعهم في بلية .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

تأثيرُ القُرآنِ الكريم بنفوسِ الصَّحابة

* تلا رسولُ اللهِ ﷺ ما كان يتلقّى من القرآن من لَدُن حكيمٍ عليمٍ أمام قومه ، فآمنَ به مَنْ آمَنَ بمجرّد أنْ أصغى إليه .

* ولعلَّ كثيراً من الصَّحابة الكرام قد أسرتهم معاني القُرآنِ الحكيم ، وداعبتهم روحُ معانيه ، وأثرت بنفوسهم آياتُ مثانيه ، فغدوا ممن أرادَ اللهُ بهم الخير ، ومِنْ هؤلاء عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ .

* ذكر القُرطبي أنَّ عثمانَ بنَ مظعون قال : ما أسلمتُ ابتداءً إلا حياءً منْ رسولِ الله ﷺ حتى نزلتْ هذه الآية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل : ٩٠] وأنا عنده فاستقر الإيمانُ في قلبي ، فقرأتُها على الوليدِ بنِ المغيرة فقال : يابن أخي أَعِدْ ! فأعدتُ فقال : والله إنَّ له لحلاوة ، وإنَّ عليه

لطلاوة ، وإنَّ أصلَه لمورق ، وأعلاه لمثمر ، وما هو بقول بَشَر .

* ولقد استهوى القُرآن الكريم نفوساً صافية منْ ألبّاءِ العرب وعقلائهم ممن لم يرضوا لأنفسهم الذِّلة والخنوع لطغيان ملأ قريش ، فالخيرُ ينبتُ في أرضٍ جدباء ، فتخصبُ وتشرقُ بها شمسُ الهداية ، وهذا أحد عُقَلاء العرب ينفذُ نورُ الهداية إلى قلبه ، فيضيء قلب قومه لّما سمع الذِّكر الحكيم .

* هذا الرَّجل الذي أثَّرت فيه كلماتُ القُرآنِ الكريم ، وسَرَتْ إلى عَقْلِهِ وقلبه هَمَسات دافئةٌ هادئة تحملُ رحيقَ القرآن هو الطُّفيل بن عمرو الدّوسيّ الذي فَهِمَ معانيه ، فكان من جنود القُرآن رغم تحذير قريش له ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

القُرآن وإسلام الطُّفَيل بن عمرو :

* قال محمّد بنُ إسحاق في سيرته : وكان الطُّفيل بن عمرو الدوسيّ يحدث أنَّه قدم مكةَ ورسولُ اللهِ ﷺ بها ، فمشى إليه رجالٌ من قريش ـ وكان الطُّفيل رجلاً شريفاً شَاعراً لبيباً ـ فقالوا له : يا طفيل إنَّك قدمتَ بلادنا وهذا الرَّجل الذي بين

أظهرنا قد أَعْضَل بنا ، وقد فَرَّق جماعتنا ، وشتَّتَ أمرنا ، وإنَّما قوله كالسِّحْرِ ، يفرِّقُ بين الرَّجل وأبيه ، والرَّجل وأخيه ، والرَّجل وزوجته ، وإنَّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخلَ علينا ، فلا تكلّمنه ، ولا تسمعن منه شيئاً .

* قال الطُّفيل : فواللهِ ما زالوا بي حتى أجمعتُ أنْ لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، حتى حشوتُ في أذنيَّ كُرسفاً حين غدوتُ إلى المسجد فَرَقاً أنْ يبلغني شيءٌ مِنْ قولهِ ، وأنا لا أريدُ أنْ أسمعَه ، فغدوتُ إلى المسجدِ ، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلّي عندَ الكعبة ، فقمتُ قريباً مِنْه ، فأبى اللهُ إلا أنْ يسمعَني بعض قوله ، فسمعتُ كلاماً حَسَناً ، فقلتُ في نفسي : واثكل أبي ؟ ! واللهِ إنّي رجلٌ لبيبٌ شاعرٌ ، وما يخفى عليّ الحَسَنُ منَ القبيح ، فما يمنعني أنْ أسمعَ منْ هذا الرَّجل ما يقول ، فإن كان الذي يقوله حَسَناً قبلته ، وإنْ كان قبيحاً تركته .

* فمكثتُ حتى انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلتُ : يا محمد إنَّ قومَك قد قالوا لي كذا وكذا ـ للذي قالوا ـ فواللهِ ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددتُ أذني بكُرْسفٍ لئلا أسمع قولك ، ثمّ أبى اللهُ إلا

أنْ يسمعني قولك ، فسمعتُه قولاً حَسَناً ، فاعرضْ عليَّ أَمْرَكَ .

* قال : فعرضَ عليَّ رسولُ الله ﷺ الإسلام ، وتلا القُرآن عليَّ ، فلا واللهِ ما سمعتُ قولاً قطّ أحسن منه ، ولا أمْراً أعدل منه .

* فأسلمتُ وشهدتُ شهادةَ الحقّ ، وقلتُ : يا نبيّ الله إني امرؤٌ مطاعٌ في قومي ، وأنا راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع اللهَ أنْ يجعلَ لي آية تكون عوناً لي عليهم فيما أدعوهم إليه ؛ فقال ﷺ : « اللهم اجعلْ له آية » .

* قال الطُّفيل : فخرجتُ إلى قومي ، حتى إذا كنتُ بثنيّةِ تطلعني على الحاضر ، وقَعَ نورٌ بين عينيَّ مثل المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، إنّي أخشى أنْ يظنُّوا أنَّها مُثْلَةٌ وقعتْ في وجهي لفراقِ دِيْنهم ؛ فتحوَّل فوقعَ في رأسِ سوطي ، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النّور في سوطي كالقنديل المعلّق ، وأنا أهبطُ إليهم منَ الثَّنيّة حتى جئتهم فأصبحتُ فيهم .

* فلّما نزلتُ أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ فقلتُ : إليك عنّي يا أبت ، فلستُ منك ولستَ منّي !

قال : ولمَ يا بنيّ ؟

قلتُ : فإنّي أسلمتُ وتابعتُ دِين محمّد ﷺ .

فقال أبي : أي بنيّ ، فدِيْني دِيْنُك .

فقلتُ : فاذهبْ فاغتسلْ ، وطهِّر ثيابك ، ثمَّ تعال حتى أعلّمك ما عُلّمتُ .فذهب ، فاغتسل وطهَّر ثيابه ، ثمَّ جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسلم .

* وأسلمت بعد ذلك زوجته ، ثمّ قومه ، ثم مكثَ فيهم حتى كانت غزاة خيبر ، فلحقَ برسولِ الله ﷺ فأَسْهَمَ لهم معَ المسلمين .

حلاوةُ القُرآنِ تحرِّك كيانَ عُمَر :

* ومن أشهرِ القَصَصِ في عالمِ القَصَص ، وفي تأثير القُرآن الكريم بنفوسِ الصَّحابة ، قصّة إسلام الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حينما استمعَ إلى القُرآن الحكيمِ يُتلى في بيتِ أخته فاطمة بنت الخطَّاب ـ رضوان الله عليها ـ .

* أخذ عمر صحيفةً كانت عند أخته فاطمة وصهره سعيد بن زيد ، وفيها بعض سُوَر من القرآن الكريم ، آيات من أوّلِ سورة ﴿ الحديد ﴾ وسورة ﴿ طه ﴾ وسورة ﴿ التكوير ﴾ فلّما قرأ من القرآن ما قرأ ، فتحَ اللهُ قلبه لنورِ الهداية ، وانطلقَ

فأعلن إسلامه أمامَ رسولِ الله ﷺ .

* وهكذا تأثَّر عمر ـ رضي الله عنه ـ بالقُرآن الكريم ، فتنزَّل غيثُ الإيمانِ على قلبه ، فكان فاروق الإسلام ، وعزّ المسلمين ، وعبقري الدنيا .

* لقد عمل القُرآنُ الكريمُ عملَه في نَفْس عمر ، هو ذا يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ آياتٌ تقدِّس الله عزَّ وجلَّ وتمجّده ، فيهتز كيان عمر هزّةً زلزلت أركانَه ، فتذوَّقَ حلاوة القُرآن ، وشَعَرَ بقوَّةٍ روحانية تغمرُ كيانه ، ويمضي قارئاً حتى يبلغ قول الله تعالى : ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه : ١٤] فيرتفعُ بروحه إلى آفاقٍ علوية ، يدرك منْ خلالها طَعْمَ رحيق الإيمان فيقول : ما ينبغي لمن يقول هذا أن يُعْبَد معه غيره ، كأنَّ حال عمر ـ رضي الله عنه ـ تعبِّرُ عنِ القُرآن الكريم بقوله : إنَّ كلامَ اللهِ لا يُبارى ولا يُجارى ، إنَّه أسلوبٌ هامسٌ ناعمٌ مطمعٌ ، ولفظ رقيقٌ ليِّنٌ حلوٌ ، وفواصلُ موسيقية ذات رنينٍ مبهج ، فَمنْ مِنَ النَّاس الذين نالوا حظّاً منْ علمٍ وأدبٍ ، وعرفوا الفصاحة لا

يُطْمِعُه هذا الأسلوب في مباراته ؟ !! .

* لقد صنع القُرآن الكريم من عمر الرّجل الثّاني في الإسلام كلّه ، الرجل الثّاني في جميع أصحاب رسول الله ﷺ بعد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ .

✡ ✡ ✡

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الرابع

القرآن يهزُّ كيان الأنصار

* وممن جَذَبَتْهم معاني القرآن في مرحلةِ سير الرِّسالةِ المحمّدية في المدينة المنوّرة رجلان لهما شأنٌ عظيمٌ في قومهما وهما : أسيد بن حُضير ، وسعد بن معاذ ، ولقد تواترت قصَّة إسلام هذَيْن الرَّجلين في المصادر على اختلافِ مشاربها .

* فقد كان مصعب بن عُمير ـ رضي الله عنه ـ السَّفيرَ النَّبويَّ الوسيمَ البليغَ العاقلَ الهادىءَ ، صاحبَ القَلْب الموصولِ باللهِ في جميع الأحوال والأوقات ؛ وفي جِلْسة قرآنية جاءه أسيد بن حضير يريدُ أن يطردَهُ منْ نادي قومه بالمدينة ، فإذا بمصعب يقول له في ثقةِ الإلهام : أَوَتجلس فتسمع ، إنْ رضيتَ أمراً قبلته ، وإنْ كرهتَهُ كُفَّ عنكَ ما تكره .

قال أسيد متعقِّلاً : أنصفتَ ، ثمَّ جلس .

* أخذ مصعب ـ رضي الله عنه ـ يحدّثه عنِ الإسلام ، ثمَّ قرأ عليه آيات من القُرآن الكريم ، فإذا بنديٍّ آياته ، وعَذْب كلماته تؤثّر بقلبِ أسيد الذي تكلَّم فقال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف يصنع مَنْ أرادَ الدخول في هذا الدِّيْنِ ؟ .

* فعلمه مصعب ـ رضي الله عنه ـ ثم أتى أسيد بسيِّدِ الأوس سعد بن معاذ ، فقرأ عليه مصعب القُرآن ، وسرعان ما ظهر في وجهه الإسلام ، فأسلم وشهد شهادة الحقّ ، ثمّ انطلق إلى قومه بني عبد الأشهل ، وحضَّهم على الإسلام ، فما أمسى فيهم رجلٌ ولا امرأة إلا مُسْلماً أو مسلمة .

* إنَّ القرآن الكريم ـ كما رأيتَ ـ هو الطَّريق إلى نفوس الناس ، لأنَّه يملأ القلب والفكر ، ويبعث الضّمائر ، ويستجيش المَشاعر ، ويقنع العقول فترضى بدعوته ، وتتمسك بهديه .

* روى الطَّبرانيُّ في « معجمه » وأبو نعيم في « دلائله » عن عروةَ : أنَّ مصعباً ـ رضي الله عنه ـ قرأ عليهما ـ أي أسيد وسعد ـ آيات من سورة الزُّخرف : بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ

لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ١ ـ ٤] .

* من تلكم الآيات القرآنية الكريمة ، وهاتيكم النَّفحات الرحمانية ، دخل الإيمان في قلبِ أسيد وسعد بعد أنَ هزَّت كيانهما ومشاعرهما ، وفتح كلّ منهما بصيرته ليعقل ، واستجابا لنداءِ الفطرةِ ، ودخلا في دِيْن الله غير متعثّريْن أو متلعثمَيْنِ ، فقد سمعا كلامَ اللهِ ، ووعيا مفهومه ، فَعَرفَا أنَّ نهج الحقّ ، وأنوار اليقين تنبعثُ منَ القرآن الكريم ، فاستكانا للحقِّ ، فكانا من كبار الصَّحابة الأنصار ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني
تعامل الصَّحابة معَ القُرآن الكريم

- **الفصل الأوّل :**
  الصَّحابةُ وقراءةُ القُرآن الكريم .
- **الفصل الثّاني :**
  أدبُ الصحابةِ مع القُرآن الكريم .
- **الفصل الثّالث :**
  تحسينُ أصواتهم بالقُرآن الكريم .
- **الفصل الرابع :**
  أصواتٌ جميلةٌ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفَصْلُ الأوّلُ

الصَّحابةُ وقراءةُ القُرآن الكريم

* القُرآنُ الكريم مائدةُ الرّحمن ، وصِفَةُ العارفين ، وشعَار عبادِ الله الصَّالحين ، وقد عُني به أصحابُ رسولِ الله ﷺ عنايةً فائقةً ، فأخذوا يحفظونه ، ويعملون وفقَ مُراده .

* وكان الصَّحابة الكرام يستأنسون بالقرآنِ آناء الليل وأطراف النَّهار ، فإنَّه نعم الأنيس ، ونعم الصَّاحب ، وكانوا يعتبرونَ أنَّ الغنى كلّ الغنى في حفْظِ القُرآن الكريم ، وأنَّ الفَقْر والفَاقة فيمن تخلى عن حفظهِ وفهمه .

* وللصَّحابة عاداتٌ مختلفةٌ في قراءةِ القُرآن الكريم ، فمنهم نَفَرٌ يختمونَ القُرآن في كلّ جمعة مرَّة ، كعثمانَ بنِ عفان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بنِ مسعود ، وأبيّ بن كعب – رضي الله عنهم – ، وأشار النَّبيُّ ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص

أنْ يختمَ القرآن في كلّ سبع[1] .

* وقد حزّبَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ أحزاباً[2] ، فروي أنَّ عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كان يفتتحُ ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السَّبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد بيوسف إلى مريمَ ، وليلة الإثنين بِطه إلى القَصَص ، وليلة الثَّلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بالزُّمَر إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس[3] .

* أمّا حياةُ الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ مع القُرآن الكريم فكانت هيِّنَةً هنيَّةً ، فكانوا يقرؤونه كلّ يوم ، وكلّ واحد له نصيبٌ منْ مائدة الرحمن ، وكانوا يختمونه في أوقاتٍ مختلفة من أسبوع إلى شهر أو أكثر .

* وكان أنسُ بن مالك ـ رضي الله عنه ـ إذا ختم القُرآن الكريم جَمَعَ أهله وولده فدعا لهم[4] ؛ وكان كثيرٌ من أصحابِ

---

(١) متفق عليه .

(٢) « الحزب » : الوِرْدُ يعتاده الإنسان من صلاة وقراءة ونحو ذلك .

(٣) إتحاف السادة المتقين (٣٤/٥) بتصرف يسير .

(٤) مجمع الزوائد (١٧٢/٥) .

رسول الله يقرؤون في المصحف ، ويكرهون أنْ يخرجَ يوم ، ولم ينظروا في المصحف ، فمنهم عثمان وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وكان عمر إذا دخل بيته نَشر المصحف فقرأ فيه .

✡ ✡ ✡

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

أدب الصَّحابة مع القُرآن الكريم

* كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يأخذون أنفسهم بقراءةِ القُرآن الكريم في ليلهم ونهارهم ، في الصَّلاة وفي غير الصَّلاة ، في السِّلْم وفي الحرب ، وكان أحدهم يدركُ نعمة الله عليه في هذا الكتاب العظيم ، فكان لله حامداً ، ولنعمه شاكراً ، وله ذاكراً ، وعليه متوكلاً ، وبه مستعيناً ، وإليه راغباً ، وبه معتصماً ، حسن الظَّنِّ باللهِ تعالى .

* وقرَّاءُ القُرآن من أصحاب رسول الله لهم سِمَاتٌ خاصّة ، وعلامات تدلُّ عليهم ، حدَّدها عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بقوله : ينبغي لقارىء القُرآن أنْ يُعْرَفَ بليله إذا النَّاس نائمون ، وبنهاره إذا النَّاس مستيقظون ، وببكائه إذا النَّاس يضحكون ، وبصمته إذا النَّاس يخوضون ، وبخضوعه إذا النّاس

يختالون ، وبحزنه إذا النّاس يفرحون[1] .

* ولأصحابِ رسول الله ﷺ أدبٌ خاص مع القُرآن العظيم ، فكانت أفواههم طُرُق منْ طرقِ القرآن ، فكانوا يطهِّرونها وينظّفونها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، لأنَّهم يخاطبون ربّهم ويناجونه ، فكانوا لا يتلونه في الأسواقِ ، ولا في مواطنِ اللغو ومجمع السُّفهاء ؛ وقد أثنى الله عزَّ وجلَّ على عباده الذين إذا مرُّوا باللغو مرّوا كِراماً ، فكيفَ إذا مرَّ القُرآن الكريم تلاوة بين أهل اللغو ومَجْمَع السُّفهاء ؟ ! .

* ومنْ أجلّ أدب الصَّحابة الكرام مع القُرآن أنّهم كانوا لا يصغّرونَ المصْحف ، قال علي ـ رضي الله عنه ـ : لا يُصَغّر المصحف .

* وروي عن عمرَ بنِ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنَّه رأى مصحفاً صغيراً في يَدِ رجل ، فقال : مَنْ كتبه ؟ قال : أنا ؛ فضربه بالدّرة وقال : عظِّمُوا القرآن .

* * *

(١) انظر كتاب : نزهة الناظرين في الأخبار المروية عن الأنبياء والصالحين (ص ١٠٦) .

الفصل الثالث

تَحسيْن أصواتهم بالقُرآن الكريم

* عُرِفَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ بتحسين قراءة القُرآن العظيم[1] ، وتزيينها بما حَبَاهم اللهُ من جمال الصَّوت ، فقد قال رسولُ الله ﷺ : « زيِّنُوا القُرآن بأصواتكم » .

* سمعَ أصحابُ رسولِ الله هذا الحديث النَّبويَّ الذي فيه حثٌّ على التَّرتيل وتحسين الصَّوت به ، وفيه التَّنبيه على التَّحرُّزِ

---

(١) كيفيات قراءة القُرآن ثلاثة :

١ ـ « التحقيق » : وهو إعطاء كل حرف حقّه من إشباع المد وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات .

٢ ـ « الحدر » : وهو إدراج القراءة وتحقيقها بالقصر مع مراعاة إقامة الإعراب ، وتمكين الحروف دون بتر حروف المد .

٣ ـ « التدوير » : وهو التوسط بين المقامين : التّحقيق والحدر ، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة .

منَ اللحن والتَّصحيف ، فإذا قُرىء كذلك ، كان أوقعَ في القُلوب ، وأشدَّ تأثيراً ، وأرقَّ لسامعيه ، وسمَّاه تزييناً لأنَّه تزيينٌ للفظ وللمعنى .

* لقد فهم الصَّحابة الكرام هذا الحديث فزيّنوا أصواتهم بالقرآن ، ولهجوا بقراءته ، وشغلوا أصواتهم به ، واتخذوه شعاراً وزينة لأصواتهم ، فبحُسْنِ الصَّوت ، وجودة الأداء ، تهفو القُلوب لاستماعه وتدبّره والإصغاء إليه ، والوصول إلى رياض الأُنْس ، وجنَّات الانشراح بنعيمِ القرآن .

* وكان رسولُ اللهِ ﷺ يوجِّه أصحابه لتحسين أصواتهم في القُرآن الكريم ، ويشجِّعُ مَنْ كان صوته حَسَناً ، فقد استمعَ ﷺ ذات ليلة إلى عبد الله بنِ مسعود ـ رضي الله عنه ـ وهو يقرأ ومعه أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ، فوقفوا طويلاً ثمَّ قال : « مَنْ أراد أنْ يقرأَ القُرآن غضّاً كما أُنْزِل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد » .

* هذا وقد طلبَ رسولُ اللهِ ﷺ مرَّةمن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنْ يقرأ عليه القرآن ؛ جاء في الصَّحيح وغيره عن عبد اللهِ ـ رضي الله عنه ـ قال :

قال لي رسولُ الله ﷺ : « اقرأ عليَّ »

قلتُ : أقرأُ عليك وعليك أُنْزِل ؟ !

قال : « إنّي أشتهي أنْ أسمعَه من غيري »

قال : فقرأتُ النِّساء حتى إذا بلغتُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١]

قال لي : « كُف » أو ـ « أمسكْ » ـ فرأيتُ عينيه تذرفان[1] .

* وهذا منه ﷺ على سبيلِ التَّواضع ، فهو يستمع لأصحابه الذين تخرّجُوا في مدرسته الطَّاهرة الطَّيِّبة ، ويعلمهم بذلك أن يحذوا حذوه في هذا المضمار الشَّريف النَّبيل .

* ومن جهةٍ ثانية أراد ﷺ أنْ يلفتَ أنظار الصَّحابة الكرام

---

(١) رواه البخاري برقم(٥٠٥٥) ومسلم برقم (٨٠٠) . وللحديث أصل عند الإمام أحمد في المسند . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث : والذي يظهر أنّه بكى رحمة لأمّته ، لأنّ لا بدّ من أنْ يشهدَ عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً ، فقد يفضي إلى تعذيبهم والله أعلم .

إلى ما عند عبد الله بن مسعود من قُرآن كريم ، وصوت نديّ مؤثّر في نفوس سامعيه[1] .

* * *

(١) ولقد اقتدى عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بهذا ، فكان حسن الاقتداء . قال صاحب قوتِ القلوب : كان ابنُ مسعود ـ رضي الله عنه ـ يأمر علقمة بن قيس أنْ يقرأ بين يديه يقول له : رتل ، فداك أبي وأمّي . وكانَ حَسَن الصَّوت بالقرآن .

وعن علقمة قال : كنتُ رجلاً حَسَنَ الصَّوت ، فكان عبد الله بن مسعود يرسل إليَّ فآتيه فأقرأ فيقول : رتل فداك أبي وأمّي ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « حُسْن الصَّوت زينة القرآن » (إتحاف السَّادة المتقين ٥/٧٥) .

الفصل الرابع

أصواتٌ جميلةٌ

* في عالَم الأصوات الجميلة لمع نجم أبي موسى الأشعري بين أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد اشتهر بجمالِ صوته ، وعذوبة منطقه ، وحسْنِ قِراءته للقرآنِ الكريم الذي تلقّاه من رسولِ الله ﷺ مباشرةً ، وقد سمع منه ﷺ الكثير الطَّيِّب المبارك ، وأقرَّهُ على قراءته ، وأثنى عليه بسبب جمال صوته وحسن أدائه .

* لقد أكرم الله عزَّ وجلَّ أبا موسى ، فآتاهُ صوتاً جميلاً شجيّاً نديّاً ، فقرأ به القُرآن العظيم ، وتغنّى به ، وسمعه رسولُ الله ﷺ فقال له : « يا أبا موسى لقد أُوتيتَ مزماراً من مزاميرِ آل داود »[1]

---

(١) الحديث متفق عليه ، واللفظ للبخاري برقم (٥٤٨) . وفي هذا الحديث منقبة لأبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وفيه : جواز مدح الإنسان في وجهه إذا لم يخشَ من ذلك مفسدة بحصول العجب للممدوح . وقال النّووي ـ رحمه الله ـ : المراد بالمزمار هنا : الصَّوت الحسن .

وداود هذا نبيّ الله عليه السَّلام ، وقد كان إليه المنتهى في حُسْنِ الصَّوت بالقراءة ، وقد آتاه الله سبحانه صوتاً جميلاً حسناً ، يداعب النُّفوسَ والجمادات ، بل والطَّير ، بحيث إنَّه كان إذا قرأ الزَّبور ردّدتِ الجبالُ معه والطَّير تسبيحه ، قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

* ويشيرُ قول رسول الله ﷺ إلى أبي موسى : « لقد أُوتيتَ مزماراً منْ مزامير آل داود » على أنَّ أبا موسى قد أُوتي جزءاً من جَمال صوتِ نبيَ الله داود عليه السَّلام ، وكلّ مَنْ سمعه ، استمتع به ، وشدَّته حلاوته ، وأطربته نداوته وعذوبته .

* لقد سمعَه رسولُ الله ﷺ ليلةً يقرأ القُرآن ، فوقفَ يستمعُ لقراءته ، وقال له بعد ذلك : « لو رأيتني وأنا أستمعُ لقراءتك البارحة لقد أوتيتَ مزماراً منْ مزامير آل داود »[1] .

* وجاء في بعض الرِّوايات أنَّ رسولَ الله ﷺ وأمّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ مرَّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته ، فقاما يستمعان لقراءته .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة برقم (٧٩٣) .

* هذا و لم تكن السَّيِّدة عائشة وحدها تستمع إلى قراءة أبي موسى ، بل إنَّ أُمَّهاتِ المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ كُنَّ يستمعن لقراءته .

* جاء في « الطبقات »لابن سعدمن حديث أنس أنَّ أبا موسى قام ليلة يصلي ، فسمع أزواج النَّبيِّ ﷺ صوته ، فقُمن يستمعن ، فلما أصبح قيل له ، فقال : لو علمتُ لحبرته لهنَّ تحبيراً .

* وتدلُّ الرِّوايات المتعددة أنَّ رسولَ الله ﷺ استمع إلى قراءة أبي موسى أكثر من مرَّة ، وشهد له بالإيمان وحُسْن القراءة .

* عن بُريدة بن الحُصيب قال : خرجتُ ليلةً من المسجد ، فإذا النَّبيُّ ﷺ عند بابِ المسجد قائمٌ ، وإذا رجل يصلّي ، فقال لي : « يا بريدة ، أتراهُ يُرائي » ؟ !

قلتُ : اللهُ ورسوله أعلم .

قال : « بل هو مؤمنٌ منيبٌ ، لقد أُعطي مزماراً منْ مزاميرِ آل داود » فأتيته فإذا هو أبو موسى ، فأخبرته[1] .

* وكان عمر بنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذا جلس عنده

(١) سير أعلام النبلاء (٣٨٦/٢) وللحديث أصل في صحيح مسلم .

أبو موسى الأشعري ، طلب منه أنْ يقرأَ له ما يتيسر له من القُرآن الكريم ، ويقول له : ذكّرنا يا أبا موسى ، وفي رواية : ذكّرنا بالله ، فيقرأ ويتلاحن[1] .

* وكان الصَّحابة يستمتعون بالأصواتِ الجميلةِ في قراءة القُرآن الكريم ، فكانوا إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أنْ يقرأَ سورة من القُرآن ، وكان عمر يقول لأبي موسى : ذكِّرنا ربَّنا ، فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصَّلاة أنْ يتوسَّطَ ، فيُقَال : يا أمير المؤمنين ، الصَّلاة ، الصَّلاة ، فيقول : أَوَلسنا في صلاة ؟ ! إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٩١) و « يتلاحن » أي يطرّب ، وهو جائز إذا لم يخل بأحكام التجويد .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث
القُرآنُ الكريم قدوةُ الصَّحابة

○ **الفصل الأوّل :**

الصَّحابةُ أسوةٌ حَسَنةٌ في القُرآن الكريم .

○ **الفصل الثّاني :**

اهتمام الصَّحابةِ بالقُرآن الكريم .

○ **الفصل الثّالث :**

تعلُّم الصَّحابة للقُرآنِ الكريم .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأوّل

الصَّحابةُ أسوةٌ حَسَنةٌ في القُرآن الكريم

* كان القُرآنُ الكريم دستورَ حياةِ الصَّحابة ، ومنهجَ معيشتهم ، وغذاءَ أرواحهم ، وملجأً قلوبهم ، ومهوى أفئدتهم ، وملء عيونهم وجفونهم ، لذلك ظهرت آثاره عليهم بالتّربية والتّوجيه ، فكانوا بُناة الأجيال وأسوة كريمة يقتدى بها .

* نعم لقد كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ هم الرَّعيلُ الأوَّل الذين عاشوا أحداثَ نزولِ القُرآن الكريم على الحبيب الأعظم محمّد ﷺ .

* فقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يتلقّى القُرآن الكريمَ مشافهةً عن جبريل عليه السَّلام ، والأخير عن ربّ العالمين ، ثمّ عمد رسولُ الله ﷺ إلى إقرائه الصَّحابة كما أنزل على قلبه الشَّريف دون نسيان حرف واحد .

* وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يسمعون القُرآن الكريم كأنَّه يتنزَّلُ عليهم[1] ، لأنَّ رسولَ الله ﷺ كان أمامهم وهو القدوة الحَسَنة ، والأسوة الطَّيِّبة لهم ، لذلك سلكوا طريقَ السَّلامة ، وغيَّروا نَهْجَ الدُّنيا بما فهموه عنِ الرَّسُول ﷺ . وقام أصحابُ رسولِ الله بإقراء التَّابعين الذين بلّغوه ـ بدورهم ـ مَنْ بعدهم ، وهكذا جَرَتِ السُّنَّة كذلك إلى يومنا هذا ، فحفظ الله عزَّ وجلَّ القُرآن الكريم مصداقاً لقوله :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

* وكان عددٌ من أعلياءِ الصَّحابة وكبارهم قد تلقّوا القُرآن العظيم من فِيّ رسولِ الله ﷺ ، وبلغوا في ذلك منزلة كريمة .

* وكان عبدُ الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أحد الصَّحابة الذين أخذوا القرآن غضّاً منَ الرَّسول ﷺ ، وبلغ بذلك شأواً يُغْبَط

---

(١) كانت آياتُ القُرآن الكريم تخاطبُ العَقْل ، وتنبِّه إلى وجوب العَمل به ، وتدعو إلى التفكيرِ في الخَالق ، وفي المخلوقات ، وكان الصَّحابة الكرام يسمعون هذه الآيات ، فإذا بهم يعيشون في عالَم غير الذي كانوا يعيشون فيه ، فتغير سلوكهم وغيروا معالم حياتهم إلى نهج سليم يوافق مفهوم القرآن الكريم .

عليه ، فرسخَ في قلبهِ ، واتَّبع ما تلقّاه من معلِّمه وقدوته رسول الله ﷺ ، فكان ممن جَمَع القرآن كلّه مشافهة ، ولقد عبَّر عن ذلك بقوله : واللهِ لقد أخذتُ من فِيِّ رسولِ الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة[1] .

* هذا وقد توجَّه عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إلى عمدة الإسلام وهو القُرآنُ الكريم ، فحمل النَّاس على فَهْمِهِ ، والعمل به ، وتلاوته ، وحفظه ، ونبَّههم إلى أمورٍ مهمّة في جانبِ القُرآن الكريم ، فكان أوّل ما لفتهم إليه مداومة صحبته ، واستذكاره حتى لا ينفلت منهم ، وحتى لا ينسوه .

* ولقد كان عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قدوة كريمة لغيره ، فكان يداومُ على تلاوة القرآنِ العظيم حين يصبحُ وحين يمسي ، وحينَ يقومُ وحين يقعدُ ، وعلى جَنْبه ، ويرغِّبُ النَّاس في التِّلاوة ، وتعلُّم السُّورة بعد السُّورة ، كما تعلَّم هو ذلك ، وكان يقوم بنفسه في هذه المهمّة الشَّريفة والمهنة الكريمة ، كما أخرج الطّبرانيُّ عنه : أنَّه كان يقرىءُ الرَّجل الآية ، ثمّ يقول : لهي خيرٌ مما طلعتْ عليه الشَّمس ، أو ممّا على الأرض من شيء

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٠٠) .

حتى يقول ذلك في القرآن كلّه .

* وفي روايةٍ أخرى : كان ابنُ مسعود إذا أصبحَ أتاهُ الناس في داره فيقول : على مكانكم ! ثمَّ يمرُّ بالذين يقرئهم القُرآن فيقول : أيا فلان ! بأي سورةٍ أتيتَ ؟ فيخبر في أي آية ، فيفتح عليه الآية التي تليها ، ثمَّ يقول : تعلّمها فإنها خيرٌ لك مما بين السَّماء والأرض . قال : فنظر الرَّجل آية ليس في القُرآن خيرٌ منها ، ثم يمرُّ بالأخرى فيقول آية مثل ذلك ، حتى يقول ذلك لكلّهم[1] .

* وكان عبدُ الله بنُ مسعود يقول للناس ولشُدَاة حفَظَة القرآن الكريم : فعليكم بهذا القرآن ، فإنَّه مأدبة اللهِ ،فمن استطاع منكم أنْ يأخذَ من مأدبةِ الله فليفعل ، فإنما العِلْم بالتَّعلم[2] .

* ولم يكن عبدُ الله بن مسعود وحده يعلّم القرآن ، بل كانت هناك ثلَّةٌ من خيارِ الصَّحابة ينهجون النَّهج نفسه ، ومنهم

---

(١) مجمع الزوائد (١٦٦/٧ و ١٦٧) وقال الهيثمي : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(٢) انظر : حياة الصحابة (٢٢٦/٣) طبعة دار القلم الرابعة .

عُبادة بن الصَّامت[1] ، ومعاذ بن جبل[2] ، وأبو موسى الأشعري[3] ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم كثير ممن تعلَّمُوا القُرآن الكريم من رسولِ الله ﷺ ، فكانوا قدوةً حسنةً لغيرهم ، وعلموه لغيرهم عملاً وسلوكاً ، فأكرمْ بهم !! .

* لقد بذلَ هؤلاء الأخيار كلّ ما يستطيعون من جهدٍ في تعليم القُرآنِ الكريم ، ونَشْره بين النَّاس ، حتى بعد أن تفرَّقَ الصَّحابة في الأمصار عقب الفتوحات الإسلامية .

* وكان أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ يستعينُ بصوتهِ الجميل وقراءته النّدية في تلقين النَّاس كلام ربّ العالمين ، وكذلك عبد الله بن مسعود[4] وغيرهما ، فكانا في كلّ مكان نزلا فيه اجتمع عليهما عُشَّاق القُرآن الكريم ليتذوقوا حلاوة القُرآن الكريم في صوتهما الشَجي النّدي الغضّ الطّري الآسر المؤثر في النُّفوس .

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) اقرأ سير هؤلاء الأعلام العلماء في كتابنا « علماء الصَّحَابة » .

الفصل الثاني

اهتمامُ الصَّحابةِ بالقُرآن الكريم

* كانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يحملون النَّاس على أنْ يفهموا معاني القرآن الكريم ، ويتعاملوا مع كلماته ، فيقفوا عند تحذيراته ، ويحرّكوا القلوب بكلماته ، ويتفاعلوا مع إنذاراته ، ويطوّعوا لها النُّفوس ، ويلتزموا أحكامه .

* لم يكتفِ أصحابُ رسولِ الله ﷺ بإقراءِ النَّاس القُرآن والأخذ عليهم أنْ يرتلوه ترتيلاً ، ويحركوا به القُلوب ، وإنّما كانوا يأمرونهم أنْ يقرؤوه أمامهم كيما يَعْلَمُوا مدى إتقانهم له ، ويتأكدوا من حفظهم وحسْن الأخْذ عنهم ، وعدم نسيان شيء منه ؛ وهم في هذا العمل المبارك يَقْفُون أَثَرَ الحبيبِ المصطفى ﷺ عندما طلب من عبد اللهِ بنِ مسعود وغيره أنْ يقرأَ عليه ، فقرأَ لأنَّه ﷺ يحبُّ ذلك .

* لقد فهمَ ابنُ مسعود وغيره من الصَّحابة أنَّ المعلمَ يجب أنْ يُقرىء ويستقرىء ، ويعلّم ويسمع من تلامذته ، ليتأكد من إتقانِ ما تعلّموه ، فقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ يُسمِعُون ويستمعون ، ويضبطون القراءة للنّاس ضبطاً سَليماً صحيحاً ، فإذا ما تمَّ لهم ذلك ، جالسوهم وفسّروا لهم ، وعلموهم أسباب النُّزول ، وأفهموهم مرامي القُرآن العظيم وأغراضه وأحكامه وناسخه منْ منسوخه ليخرجوا بهم من ميدان العِلْم إلى ميدانِ العمل ، ومن نطاقِ الكلام إلى جادّة الالتزام .

* ولقد كان القُرآن الكريم شغل الصَّحابة الشَّاغل ، صرفوا له جلَّ أوقاتهم في حلّهم وترحالهم .

* أخرجَ ابنُ سعد عن أنس بنِ مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : بعثَني الأشعريُّ إلى عمرَ ـ رضي الله عنه ـ فقال عمر : كيف تركتَ الأشعري ؟ فقلتُ له : تركته يعلِّم النَّاسَ القُرآن .

فقال : أما إنَّه كيِّس[1] ، ولا تُسمعها إياه[2] .

* هذا وقد أثمرتْ جهودُ أبي موسى وأينعتْ في تعليم القرآن

---

(١) « كيّس » : عاقل فَطِن .

(٢) حياة الصحابة (٣/٢٢٤) .

الكـريم ، وقرّتْ عينُـه برؤيةِ ثلاثمئـة من حفَظَـةِ القُرآن الكريم وعلمائه . ولما طلبَ عمر ـ رضي الله عنه ـ من عُمَّاله أنْ يرفعوا إليه أسماء حفّاظ القُرآن الكريم لكي يزيد في عطائهم ويكرمهم ، فكتب إليه أبو موسى ـ وكان عاملاً له على البصرة ـ أنَّه بلغ من قبلي ممن حَمَـلَ القُرآن ثلاثمئة وبضع رجال ، فكتبَ عمر إليهم رسالة نافعة جامعة مباركة جاء فيها :

بسمِ الله الرحمنِ الرَّحيم ، من عبدِ اللهِ عمر إلى عبدِ اللهِ بنِ قيس ومَنْ معه مِنْ حَمَلَةِ القُرآن . سلامٌ عليكم ، أمَّا بعد : فإنَّ هذا القُرآن كائنٌ لكم أجراً ، وكائن لكم شرفاً وذخراً فاتّبِعوه ولا يتبعنَّكـم ، فإنَّه مَن اتّبعـه القُرآن زخّ[1] في قفـاه حتى يقذفه في النَّـار ، ومَنْ تَبعَ القُـرآن ، وَرَدَ بـه القرآن جنَّـات الفردوس ، فليكوننّ لكم شافعاً إن استطعتم ، ولا يكوننّ بكم ماحلاً[2] ، فإنَّه مَنْ شفع له القرآن دخل الجنَّة ، ومن مَحلَ به القرآن دخل النَّار .

* واعلموا أنَّ هذا القُرآن ينابيع الهدى وزهرة العلم ، وهو

---

(١) « زخّ » : دفع .

(٢) « ماحلاً » : خصماً مجادلاً .

أحدث الكتب عَهْداً بالرحمن ، به يفتح الله أعيناً عُمْياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلفاً .

* واعلموا أنَّ العبد إذا قام مِنَ الليل ، فتسوّك ، وتوضأ ، ثم كبّر ، وقرأ ، وضعَ المَلَك فاه على فيه ويقول : اتلُ ، اتلُ ، فقد طبْتَ وطاب لك ، وإنْ توضّأ ولم يَسْتَك حفظ عليه ، ولم يعدُ ذلك .

* ألا وإنَّ قراءةَ القُرآن مع الصَّلاة كنزٌ مكنونٌ ، وخير موضوع ، فاستكثروا منه ما استطعتم ، فإنَّ الصَّلاة نورٌ ، والزكاة برهان ، والصَّبر ضياء ، والصّوم جُنّة ، والقُرآن حجة لكم أو عليكم ، فأكرموا القرآن ولا تهينوه ، فإنَّ الله مكرمٌ مَنْ أكرمه ، ومهينٌ مَنْ أهانه ، واعلموا أنَّه مَنْ تلاه وحفظه وعمل به ، واتَّبعَ ما فيه ، كانت له عند اللهدعوة مستجابة ، إنْ شاء الله عجّلها له في دنياه ، وإلا كانت له ذخراً في الآخرة ، واعلموا أنَّ ما عند اللهخيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكلون[1] .

* وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يرتقون بتلامذتهم صُعُداً في حياتهم مع القُرآن الكريم ، واقتطاف زهره ، والارتواء من

(١) انظر حياة الصحابة (٣/٢٣٣ و ٢٣٤) .

ينابيعه ، والحياة معه في السِّر والعلانية ، وفي كلِّ سكون وحركة .

* روى عبدُ اللهِ بنُ عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : أتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبد الرحمن ، علمْنِي كلمات جوامع نوافع .

فقال : اعبدِ الله ، ولا تشرك به شيئاً ، وزلْ[1] معَ القُرآن حيث زال ، ومَنْ جاءك بالحقِّ فاقبل منه ما كان بعيداً بغيضاً ، ومن جاءك بالباطل فاردُدْ عليه وإن كانَ حَبيباً قريباً[2] .

* ومنَ الصَّحابة الذين اقتدوا نَهْجَ القُرآن الكريم ، فكانوا قدوة : عُبادة بن الصَّامت ـ رضي الله عنه ـ الذي تولَّى تعليم القرآن العظيم في عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ وما بعده ، فكان يُعلِّم أهل الصُّفَّة القرآن في زمن النَّبيِّ ﷺ .

* وفي عَصْرِ الخلافة الرَّاشدة ظلَّ عُبادة معلماً للقرآن الكريم في الأمصار ، فقد كتب يزيدُ بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب : قد احتاج أهل الشَّام إلى مَنْ يعلمهم القرآن ، ويفقههم في الدِّيْن ؛ فأرسل عمر معاذَ بن جَبَل وعبادةَ بنَ الصَّامت وأبا

---

(١) « زُل » : انتقل .

(٢) انظر : حلية الأولياء (١/١٣٤) .

الدَّرداء ـ رضي الله عنهم ـ فأقام عُبادة بحمصَ ، ثم انتقل إلى فلسطينَ فمات بها ، وأقام أبو الدرداء بدمشقَ ، ومات معاذ في فلسطينَ عام طاعون عمواس[1] .

* لقد حاز أصحابُ الرَّسول ـ رضي الله عنهم ـ قصب السَّبق في كلِّ فضيلة ، فهم الذُّروة في التَّقوى والورع ، ومشعل وضيء في العِلْمِ والعَمل ، وآية في الحفظ ، ومدارسة القُرآن الكريم ، فهل هناك فضيلة لم يتسلَّقُوها ، ومكرمة لم يمتطوها ؟ ! تالله لقد وردوا ماء عينِ الحياة ، فشربوا عَذْبَها صافياً زُلالاً ، فأشرقتْ نفوسُهم بأنوارِ الهداية ، ففتحوا القلوب بعَدلهم بالقرآنِ الكريم ، وألقوا إلى التَّابعين ما تلقوه من مشكاة النبوةِ عذباً صافياً ، وكان معينهم رسولُ الله ﷺ آخذاً عن جبريل ، عن ربِّ العالمين .

* لقد كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ بالقُرآن الكريم خير أمّة في تاريخ البشريّة الطّويل المتطاول ، ولم يأتِ ـ ولن يأتي ـ زمانٌ

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/١٧٢) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٢٥٧) وحياة الصحابة (٣/١٩٥ و ١٩٦) مع الجمع والتصرف .

اجتمع فيه أمثالهم في العدد وفي الصِّفات ، فهم في الحقيقة صفة صفوة البشرية ، فهل نقتدي بهم ونهتدي بهديهم ؟ ! .

الفصل الثالث

تعلُّم الصَّحابةِ للقُرآن الكريم

* للصَّحابة الكرام طريقةٌ في تعلُّمِ القرآن الكريم وتعليمه ، فقد كانوا يتعلّمون الآيات ، فلا يجاوزونها حتى يتعلموا العمل بها .

* أخرج ابنُ عساكر عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : كنَّا إذا تعلمنا من النَّبيّ ﷺ عشر آيات من القرآن ، لم نتعلَّم العَشْر التي بعدها حتى نعمل بما فيها .

* وأخرج الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن السُّلميّ قال : حدثنا مَنْ كان يُقرئنا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ أنَّهم كانوا يقترئون منْ رسولِ الله ﷺ عَشْر آيات ، فلا يأخذون في العَشْر الأخرى حتى يَعْلَموا ما في هذه من العِلْم والعمل ، قالوا : فعلمنا العِلْم والعمل[1] .

---

(١) المسند (٥/٤١٠) ومجمع الزوائد (١/١٦٥) .

* ولقد بدأ رسولُ اللهِ ﷺ ـ وهو المعلم الأوّل ـ بتعليمِ القُرآن العَظيم لأصحابه الكرام ، ثمّ كان يرسلهم إلى البُلدان للتَّعليم ، فقد أرسل جماعة من أصحابه إلى قبيلة عُضَل والقَارة يقرئون أهلها القُرآن الكريم ، وبعث عليّ بن أبي طالب ، وأبا عُبيدة بن الجَّراحِ إلى اليمن يعلمون النَّاس القرآن هنالك .

* ولا بدّ لنا ونحنُ في رحابِ تعلُّم وتعليم الصَّحابة للقُرآن أنْ نشيرَ إلى المقرىء مصعب بن عُمير ـ رضي الله عنه ـ الذي وقع عليه اختيار رسولِ الله ﷺ ليكون مقرىء أهل المدينة بعد أنْ طلبوا منه ذلك .

* قال ابنُ هشام في السِّيرة : إن مصعباً ذهبَ معهم[1] وأمره رسول الله ﷺ أنْ يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدِّين .

* ويروي الدكتور حميد اللهالحيدرأبادي نص الكتاب الذي أرسلته الأنصار لرسولِ اللهِ ﷺ ليبعث لهم معلماً وهو : ابعثْ إلينا رجلاً يفقهنا في الدِّين ويقرئنا القرآن[2] .

---

(١) أي : مع الأنصار إلى المدينة المنورة .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي (ص ١٠) .

* وفي المدينةِ المنوَّرة ، أخذَ مصعبٌ ـ رضي الله عنه ـ يقرأُ القرآن للمسلمينَ بصوتٍ رخيم مؤثر بعد أنْ تلقّى دروس القُرآن الكريم من معلِّمه الأوَّل رسول اللهِ ﷺ وفهم معانيه ، فكان مصعب ـ رضي الله عنه ـ يقرىءُ الأنصار القُرآن على الطَّريقة المُثْلى التي تعلَّمها من النَّبيِّ ﷺ آيات ، آيات لا يكثرُ منها ولا يستكثر في الجِلْسَةِ الواحدة ، وإنَّما كان يكتفي ببضعِ آيات حتى يحفظونها ويعملون بها .

* والحقيقة فقد وَجَدَ الأنصار في هذا التَّعْليم متعة عظيمة هذَّبت نفوسهم وصقلتْ قلوبهم ، إذ رأَوا أنَّهم قد وُلدوا من جديد مع ميلادِ تلكم النَّفحات القُرآنية ، والهَمَسات النَّدية التي يتعلّمونها من مقرىءِ المدينة مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ .

* لقد رأى أنصارُ رسول الله ﷺ أنَّ حياتَهم قد تغيَّرت ، وآفاقهم قد أخذت تتسعُ في آفاقِ علوية نيّرة ، وأمورهم تستقيم مع منهج القُرآن الكريم الذي فتح بصرهم وبصائرهم على الكونِ وخالقه ، فغدوا أنصاراً لله ورسوله ، وتلاشتِ الجاهليةُ من بينهم ، لتحل مكانها أنوار الهداية القرآنية .

* وكانَ الصَّحابةُ الكرام يسارعونَ إلى الخيراتِ بتعلُّم القرآن الكريم وتعليمه وقراءته على النَّاس ، وينهجون بذلك نهج الخير الذي يرسمه لهم الرَّسُول الكريم ﷺ .

* أخرج الطَّبرانيُّ عن أبي أُمامة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رجلاً أتى النَّبيَّ ﷺ فقال : اشتريتُ مقسم[1] بني فلان ، فربحتُ فيه كذا وكذا .

قال : « أَلَا أنبئك بما هو أكثر منه ربحاً ؟ » .

قال : وهل يوجد ؟ ! .

قال : « رجلٌ تعلَّم عَشْر آيات » .

فذهب الرَّجلُ فتعلَّم عَشْر آياتٍ ، فأتى النَّبيَّ ﷺ فأخبره[2] .

---

(١) « مقسم » : نصيب .

(٢) مجمع الزوائد (٦٥/٧) وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البابُ الرَّابع
الصَّحابةُ وحفْظُ القُرآن الكريم

- **الفصل الأوّل :**

هل حفظَ الصَّحابة القرآن الكريم ؟ !

- **الفصل الثّاني :**

عواملُ حفظِ الصَّحابة للقُرآن الكريم .

- **الفصل الثّالث :**

مشاهيرُ الصَّحابة الحُفَّاظ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفَصْلُ الأوّلُ

هل حفظَ الصَّحابة القُرآن الكريم ؟ !

* جَمَعَ القُرآنَ الكريم حفْظاً عددٌ منَ الصَّحابة الكرام في عَهْد النَّبيِّ ﷺ ، منهم ما رواه البخاريُّ عن عبدِ اللهِ بن عمرو بن العاص قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول : « استقرؤوا القُرآن منْ أربعةٍ : من عبدِ اللهِ بن مسعود ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة ، ومعاذِ بن جبل ، وأُبيّ بن كعب »[1] أي تعلموا منهم .

---

(١) أخرجه البخاري في الفضائل برقم (٣٧٥٨) باب : مناقب سالم مولى أبي حذيفة ، وفي مناقب الأنصار برقم (٣٧٦٠) و (٣٨٠٦) و (٣٨٠٨) وفي فضائل القرآن برقم (٤٩٩٩) باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ، والحاكم في المستدرك (٢٢٥/٣) وحلية الأولياء (١٧٦/١) والمعرفة والتاريخ (٥٣٧/٢ و ٥٣٨) ومجمع الزوائد (٣١١/٩) والإتقان (٢٢٢/١) وغيرها من مصادر .

* والأربعةُ المذكورون : اثنان من المهاجرين وهما : عبد الله وسالم ، واثنان من الأنصار وهما : معاذ وأبيّ .

* والحقيقةُ ، فإنَّ حَمَلَةَ القرآن العظيم وحفظته في حياة النَّبيِّ ﷺ كانوا أضعافَ هذا العدد المذكور ، ويشهد لصحّة ذلك القُرّاء المقتولين يوم مُسيلمة في معركةِ اليمامة ، وذلك في أوَّلِ خلافةِ أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضي الله عنه ـ .

* وقد ورد في الصَّحيحين : قُتِلَ سبعون من الأنصار يوم بئر معونة ، كانوا يُسمَّون القُرَّاء .

* وقد سمَّى الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلام القرّاء من الصَّحابة في أوّل كتاب « القراءات » له ، فسمّى عدداً كثيراً ، فعدّ من المهاجرين : الخلفاء الأربعة ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقّاص ، وعبد الله بن مسعود ، وحُذيفة بن اليمان ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبا هريرة ، وعبد الله بن السَّائب ، والعبادلة الأربعة[1] وعائشة ، وحفصة ، وأمّ سلمة ـ أمَّهات

---

(١) العبادلة الأربعة هم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزّبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وقد وهم من قال : عبد الله بن مسعود ، ووضعه مكان عبد الله بن الزبير .

المؤمنين ـ .

* ومنَ الأنصار : عُبادة بن الصَّامت ، ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة ، ومجمِّع بن جارية ، وفضَالة بن عُبيد ، ومسلمة بن مُخَلَّد .

* والذي يبدو في كثيرٍ من الأحاديث والرِّوايات والأخبار الوثيقة أنَّ عدداً منَ الصَّحابة الكرام منَ الحفَظَةِ ، وفي مقدمتهم شيخ الصَّحابة الصِّدِّيق العتيق أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ، فقد كان يحفظُ القُرآن الكريم في حياة النَّبيِّ ﷺ ، ففي الصَّحيح : أنَّه بنى مسجداً بفناءِ داره ، فكان يقرأ فيه القرآن[1] . ـ وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك ـ .

* قال ابنُ حجر ـ رحمه الله ـ : وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدّة حرص أبي بكر على تلقّي القرآن من النّبيّ ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة ، وكثرة ملازمة كلّ منهما للآخر ، حتى قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ : إنَّه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشياً[2] .

---

(١) انظر صحيح البخاري ببرقم (٣٦٩٢) باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٢) المصدر السابق .

وقد صحَّ حديث « يؤمُّ القومُ أقرؤهم لكتابِ الله »[1] وقد قدَّمه ﷺ في مرضِهِ إماماً للمهاجرين والأنصار[2] ، فدلَّ على أنَّه كان أقرأهم .

* وقد ورد في السُّنَنِ ـ مع الجمع بينها ـ أنَّه جمع القرآن في عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ جماعةٌ : معاذُ بن جبل ، وعُبادةُ بن الصَّامت ، وأُبيُّ بن كعب ، وأبو الدَّرداء ، وأبو أيوب الأنصاريّ ، وزيدُ بن ثابت ، وأبو زيد ، وعثمانُ بن عفّان ، وتميم الداري ، وسعد بن عبيد ، ومجمّع بن جارية ، وأبو موسى الأشعريّ وغيرهم[3] .

* وممن جَمَع القرآن أيضاً امرأةٌ من الأنصار وهي : أمّ ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، فقد كانَ رسولُ الله ﷺ يزورها ويسميها الشّهيدة ، وكانت قد جمعتِ القُرآن[4] .

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٧٣) وأخرجه كذلك أصحاب السنن .

(٢) أخرجه البخاري في الجماعة والإمامة برقم (٦٥٥) .

(٣) وَرَدَ عند النسائي عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال : وجمعتُ القرآنَ ، فقرأتُ به كل ليلة ، فبلغ النّبيّ ﷺ فقال : « اقرأه في شهر » الحديث . (سنن النسائي ٤/٢١٢) .

(٤) اقرأ سيرة الصَّحابية الحافظة أمّ ورقة الأنصاريّة في كتابنا « نساء مبشّرات بالجنة » (٢/١٩٣ ـ ٢٠٤) ففي سيرتها إمتاع للأسماع بإذن الله .

* وهكذا ثبتَ حفْظُ الصَّحابة الكرام رجالاً ونساءً للقرآن الكريم في صدورهم ، وكان الاعتماد في نَقْل القُرآن على حفظ القلوب والصُّدور ، لا على حفظِ الكتب والسُّطور ، أليس اللهعزَّ وجلَّ قد قال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ٤٠] وقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

الفصل الثاني

عَوامِلُ حفظ الصَّحابة للقُرآن الكريم

* الرَّسولُ الكريمُ محمّد ﷺ أعظم الخلْقِ حفْظاً ووعياً للقرآنِ العظيم ، وكان يتلو القرآن عن ظهر قلب في معظمِ الأحيان ولا سيما في الليلِ ، فقد ورد أنَّه كان يقرأ في الرَّكعةِ الواحدة عدداً من السُّور الطّوال ، ولزيادة تثبيتِ الحفظ في صدره الشَّريف ، كان جبريلُ ـ عليه السَّلام ـ يعارضه بالقُرآن كذلك .

* وقد تلقى الصَّحابة القُرآن عن رسولِ الله ﷺ ، وحفظوه ، وكان يتعاهدهم بتعليمِ الآياتِ تلو الأُخرى ، وقد توفَّرتْ لهم العوامل التي جعلتهم يحرصونَ على حِفْظِ القُرآن الكريم إلى أبعدِ مدى ، ولعلَّ من أهمّ تلكم العوامل والأسباب :

آ ـ أنَّ القرآنَ الكريمَ كان ينزلُ منجّماً .

ب ـ قراءة شيء منَ القرآن في الصَّلوات .

ج ـ حضّ رسولِ الله ﷺ على حفْظِ وقراءة القرآن وترغيبه بما أعدَّ الله عزَّ وجلَّ من أجرٍ وثواب للقارىء[1] .

وقد رأى ذلك الصَّحابة عقب غزاةِ أُحد حيث كان رسول الله ﷺ يقدّمُ منَ الشُّهداء في القبر أكثرهم حفظاً للقرآن الكريم .

د ـ كان معظمُ أصحابِ رسول الله ﷺ أميّين ، وسبيلهم إلى القُرآن هو الحفْظُ عن ظهر قَلْب .

هـ ـ اشتهر أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ بصفاء الذِّهنِ وقوة الذّاكرة ، فكانوا يحفظون للمرّة الأولى ، وقد كان أحدهم يحفظُ قصيدة من عَشَرات الأبيات بسماعها مرة واحدة .

و ـ تعاهد رسولِ الله ﷺ الصَّحابة بتعليم القرآن ، والتنويه إلى القرّاء المجوِّدين المتقنين الحفّاظ .

---

(١) روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسَنة بعشر أمثالها ، لا أقول ﴿ ألم ﴾ حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .

ز ـ تنافس الصَّحابة في حفظِ القُرآن الكريم ، والعمل به وقراءته في السِّلم والحرب .

✲ ✲ ✲

الفصل الثالث

مَشاهير الصَّحابة الحُفَّاظ

* إنَّ اللهَ سبحانه قد كتبَ على نفسهِ أنْ يتولَى حِفْظ كتابه العزيز الذي أنزله على أفضلِ خلقهِ بنفسه ، لم يكلْ ذلك إلى أحدٍ من خَلْقه ، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] فظهر مصداق ذلك منذ عصر النّبوة ومع توالي السّنين والأيام والأزمان ، وانتشار أهل الإسلام ، واتساع رقعته في كلّ مكان .

* وكان منْ أسبابِ حفْظِ القُرآن العظيم أن هيّأَ اللهُ له رجالاً صادقين مُخلصين من الصَّحابة الكرام ـ ومن بعدهم إلى يومنا هذا ـ فقد غُرسَ في قلوبهم حبّ كتابه الكريم ، والحرص على تلقّيه ، وأدائه ، وضَبْطه ، وحفْظِه ، ومن ثمَّ تلقينه لمن بعدهم ، ليصلَ إليهم غضّاً نديّاً ، كما أُنزل على رسول الله ﷺ ، فأفنوا

أعمارهم ، ودأبوا صباحَ مساءَ في تحصيلِ معارفه ، فكان أحدهم يقضي عمره في رحابِ كتاب الله العزيز ، وتعليمه وتلقينه ، وكانوا يعدُّون ذلك واجباً يُمليه عليهم حرصهم على دِينهم ، يبتغون بذلك فَضْل اللهِ ورضوانه .

* وقد أرشد الرَّسولُ الكريم ﷺ أصحابَه إلى كبارِ الحُفَّاظ والمقرئين ليأخذوا عنهم القُرآن الكريم .

* أمّا المشتهرون بإقراءِ القُرآن العظيم من الصَّحابة سبعة وهم : سيّدنا عثمان بن عفان ، عليّ بن أبي طالب ، أبيّ بن كعب ، عبد الله بن مسعود ، زيد بن ثابت ، أبو موسى الأشعريّ ، وأبو الدَّرداء ـ رضي الله عنهم وأرضاهم[1] ـ .

* وسنقفُ ـ بإذن الله ـ وقفات ندية وضيئة مع كلّ واحد من هؤلاء الحفظة الأخيار .

أولاً : عُثْمَان بنُ عَفَّانَ ـ رضي الله عنه ـ :

* أسلمَ مُذْ لاحتْ تباشيرُ صباحِ الإسلام ، فكان أحد

---

(١) معرفة القراء الكبار (١/٢٤ ـ ٤٢) والبرهان في علوم القرآن (١/٢٤٣) والإتقان (١/٢٢٨) .

السَّابقين الأوَّلين إلى دوحة الإيمان ، وهو ذو النُّورين ، وصاحب الهجرتين ، وزوج الطَّاهرتين رقيّة وأمّ كلثوم ابنتي رسول اللهِ ﷺ .

* هذا العَلَمُ هو عثمان بنُ عفّان بن أبي العَاص ، أبو عمرو ، وأبو عبد الله القرشيّ الأموي ـ رضي الله عنه ـ جَمَعَ القُرآن الكريم على عَهْدِ رسولِ الله ﷺ وعَرَضَهُ عليه .

* كان معتدلَ الطُّول ، حَسن الوَجْه ، جميل الطَّلعة ، أسمرَ اللون ، كبيرَ اللحية ؛ قال السَّائب : رأيته يصفِّرُ لحيته ، فما رأيتُ شيخاً أجمل منه[1] .

* عُرف عثمانُ ـ رضي الله عنه ـ بشغفه الشَّديد للقرآن الكريم ، فقد صحَّ من وجوه أنّه قرأ القُرآن العظيم كلّه في ركعةٍ[2] ! وكان يصوم الدَّهر ، وله كبير الفضل في كتابةِ المصاحف إبان خلافته ، وفرقها في الأمصار ، وقد أثنى عليه عليّ بن أبي طالب في كتابةِ المصاحف فقال : لو لم يصنَعه عثمان لصنعتُه .

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٦٩) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣/٧٦) .

* فقد قام عثمانَ خلال خلافته في سنة (٢٥ هـ) تقريباً بجمعِ القُرآن الكريم على حرفٍ واحد موحد من الحروف السَّبعة ـ أي اللهجات واللغات السَّبْع التي أُنزِل بها القرآن ـ طلباً للوحدة ، وتلافياً للفتنة ، ومن هنا اعتبر عمله هذا جمعاً للقرآن ، وتوحيداً للمسلمين ، كما اعتبر ذلك إجراء ضرورياً للحفاظ على نقاء نصِّ القُرآن الأصلي الذي نزل به الرُّوح الأمين .

* عَهدَ عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى جماعةٍ من الصَّحابة اشتهروا بحفظِ القرآن وضبطه وجمعه ، وعرفوا بالنَّزاهة والأمانة والثِّقة ، بكتابةِ المصحف الإمام ، وهؤلاء الرهط هم : زيد بن ثابت الأنصاري كبير كُتَّاب الوحي وجامع القرآن ، وعبد الله بن ٱلزُّبير بن العوام الأسديّ القُرشيّ أحد فقهاء الصَّحابة وأكثرهم علماً وعملاً ، وسعيد بن العاص الأمويّ وكان أشبه لهجةً برسولِ الله ﷺ ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

* وقد نبَّه عثمان ـ رضي الله عنه ـ هذه اللجنة بضرورةِ الالتزام بلسان قريش عند حدوث خلاف بين رجالها في كتابة النَّص القرآني وقال : فإنّما أُنزل القُرآن بلسانهم .

* ومن هنا أجمعَ أعلياء العُلماء من الصَّحابة فَمَن بعدهم على

أنَّ الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ بعمله المبارك في المصحف قد أبعد المسلمين على الاختلاف في القُرآن الكريم ، وبجمع عثمان المسلمين على مصحف واحد إمام ، قد حصَّن القرآن ، وأحكم الأسوار حوله ، ومنَعَ الزَّمن أنْ يتطرّقَ إليه بشيء وجعله بذلك فوق الزَّمن[1] .

* وقال الإمام شمس الدِّين الذَّهبي عن صنيعِ عثمان وقت أَمْرِه بجمعِ القُرآن : مَنْ نظر في تحرِّيه ، عَلِمَ مرتبته وجلالته[2] .

* أستطيعُ الآن أنْ أقولَ : إنَّ عملية جَمْعِ القرآن وكتابته مكرمة خصَّ الله بها عثمان[3] ، وقد تفرَّد بهذه المكرمة من بين أصحابِ رسول الله ﷺ .

* هذا ومكارم الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وفضائله في

---

(١) إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي (ص ٣٨) .

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٩/١) .

(٣) قال ابنُ العربي في « العواصم من القواصم » (ص ٥٦ ـ ٥٨) : وأمّا جَمْعُ القرآن فتلك حسنته العظمى ، وخصلته الكبرى ... وأمَرَ بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة ومصحف أنْ يُحرق ، إذ كان في بقائها فَسَادٌ ، وكان فيها ما ليس من القرآن ، أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، وقد سلّم في ذلك الصحابة كلّهم .

مجالِ الفضائلِ لا تُحصى ولا تُحصر في صَفَحات ، فقد كان غنياً شريفاً في الجاهلية ، واعتزَّ به الإسلام في أوّل مشارقِ أنواره ومطالع بدوره ، فقد هاجر الهجرتَيْن إلى الحبشة ، فثمّ المدينة المنوَّرة ، وكان جَوَاداً كريماً ، محبباً إلى قريش مُحسناً متبرعاً بماله في سبيل الله عزَّ وجلَّ لإعلاء كلمة الحق ، فقد جهَّز جيش العسرة من خاصِّ ماله ، فبذل ستمئة بعير بما عليها ، وتبرَّع بألفِ دينار ، واشترى بئر رومة وجعلها وقفاً لله عز وجل ليستفيد المسلمون من مائها العذب الفرات .

* شهدَ عثمانُ المشاهد كلَّها مع الحبيب المصطفى ﷺ ، وأرسله سفيراً إلى مكةَ في غزاةِ الحديبية ، وبايع بيعة الرضوان فحظي بالرضوان ، وهو أحد السِّتة أصحاب الشُّورى الذين أوصى لهم عمر – رضي الله عنهم – .

* بُويع عثمان بالخلافة سنة (٢٤ هـ) وفي عهده فتحت قبرص وبلاد فارس حتى مرو ، كما فتح شمال إفريقية .

* ومن نفائس أعماله : جَمْع القُرآن الكريم وتوزيعه على الأقطار لمنع الاختلاف بين النَّاس في القراءة .

* زاد في المسجدِ الحرام ، والمسجدِ النَّبويِّ ، واتخذ الشّرطة ،

وبنى داراً للقضاء بين الناس .

* كان من فُقَهاء الصَّحابة وعلمائهم ، له آراءٌ كثيرة واجتهاداتٌ متعددة ، وهو منْ رُواة الحديث النّبويّ الشّريف روي له (١٤٦ حديثاً) .

* تحركتِ الفتنةُ في أواخرِ خلافته سنة (٣٥ هـ) فحُوصر في منزله أربعين يوماً ، ثمّ قُتِل شهيداً ، وهو يقرأ القُرآن الكريم ، وكان عمره يوم استشهاده (٨٢ سنة) ـ رضي الله عنه ـ ورثاه جماعةٌ من شعراءِ الصَّحابة منهم كعب بن مالك ، وحسّان بن ثابت وغيرهما ، ومن أعذب ما رُثي به عثمان قول حسَّان ـ رضي الله عنهما ـ :

قتلتمْ وَليَّ اللهِ في جوفِ داره
وجئتمْ بأمْرٍ جائرٍ غير مهتدي
فلا ظفرتْ أيمان قومٍ تعاونوا
على قتل عثمانَ الرَّشيدِ المسدد

ثانياً : عَلِيُّ بن أبي طالِب ـ رضي الله عنه ـ :

* حافظٌ متقنٌ من حَفَظةِ القُرآن الكريم ومن علماءِ الصَّحابة ، ومن السَّابقين الأوّلين إلى دوحة الإيمان الباسقة

السَّامقة لم يسبقه إلى الإسلام إلا خديجة ـ رضي الله عنها ـ . أسلم وهو طريُّ العود ، ونشأَ في بيت النُّبوَّة يرتشفُ رحيقَ الإيمان ، ويتفهَّم آيات الرّحمن ، هذا الحافظُ القارىءُ هو عليُّ بنُ أبي طالب أمير المؤمنين أبو الحسَن القرشيّ الهاشميّ ـ رضي الله عنه ـ[1] .

* وعليٌّ هذا ابن عمّ رسولِ الله ﷺ ، وصهره على فاطمةَ الزَّهراء سيّدة نساء العالَمين ، وهو رابعُ الخلفاء الرَّاشدين ، وأبو السِّبْطَيْن الكريمَيْن الحسَن والحُسَين سيديّ شباب أهل الجنّة ؛ وأحد العشرة المشهود لهم بالجنَّة ، وأوّل هاشمي يُولد من هاشمية ، فأمُّه فاطمة بنت أسد[2] الهاشميّة ، كانت من المُهاجرات ، توفيتْ في حياة النَّبيِّ ﷺ .

* كان عليّ ـ رضي الله عنه ـ أحدَ الأبطال الشُّجعان المشهود لهم في مقام السَّيف والسِّنان ، شهدَ المشَاهد كلّها مع رسولِ الله ﷺ خلا غزوة تبوك حيث استخلفه رسولُ الله

(١) معرفة القراء الكبار (١/٢٥) وحلية الأولياء (١/٦١) وتهذيب الأسماء واللغات .

(٢) اقرأ سيرة الصحابية المعطاء فاطمة بنت أسد في كتابنا « نساء مبشرات بالجنة » (١/٥٥ ـ ٧٢) ففي سيرتها نفحات رائعة .

ﷺ على المدينةِ ، ومواقفه شهيرةٌ مشهورةٌ مشهودٌ له فيها بالإبداع في مواطنِ البطولة ، وأعطاهُ الرسولُ الكريم ﷺ اللواءَ في مواطنَ كثيرةٍ ، أشهرها في غزاة خيبر .

* كان عليّ ـ رضي الله عنه ـ من أكابر الخُطَباء وأعيان الفُصحاء ، اشتهر بالقضاء والعِلْم ، وكان حافظاً للقرآن عالماً به ، وبالأحكام الشَّرعية ، حصيفاً ، أريباً ، لبيباً ، عليماً بمقامات الكلام والشّعر واللغة ، وهو أقضى الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، قال عنه عمر بن الخطَّاب ـ رضي الله عنه ـ : عليٌّ أقضانا .

* وليَ عليٌّ الخلافةَ سَنَة (٣٥ هـ) وكان مستشاراً للخلفاء قبله ، وكان مشهوراً بالزُّهد والوَرع وكثرة الصَّدقة ، وذمِّ الدنيا ، والعمل لما يرضي الله في السِّرِّ والعلانية ؛ كما كان صوَّاماً قوّاماً ، وكان قارئاً للقرآن متقناً ، قال عنه أبو عبد الرحمن السُّلميّ : ما رأيتُ أحداً كان أقرأَ منْ عليّ[1] ؛ وكان من حفَظَةِ الحديث النَّبويّ روى (٥٨٦ حديثاً) .

* وحياةُ عليّ ـ رضي الله عنه ـ مع القُرآن الكريم حياة

(١) معرفة القراء الكبار (١/٢٨) .

كريمة ، قال عليٌّ يتحدَّثُ عن نفسه وعن نعمة الله عليه : والله ما نزلتْ آيةٌ إلا وقد علمتُ فيما نزلتْ وأين نزلتْ ، وعلى مَنْ نزلت ، وإنَّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً ناطقاً[1] .

* وقال مسروق بن الأجدع : انتهى علم أصحابِ رسولِ الله ﷺ إلى عمرَ ، وعليّ ، وعبد الله .

* وقال الذَّهبيُّ : ومناقبُ عليّ ـ رضي الله عنه ـ يضيقُ المكان عنها ، وأجمعَ المسلمون على أنّه قُتِل شهيداً يوم قُتِل ، وما على وَجْهِ الأرض بدريٌّ أفضل منه ، ضربه ابن ملجم المرادي صبيحة سابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالكوفة[2] ـ رضي الله عنه ـ .

ثالثاً : أُبيُّ بنُ كَعْب ـ رضي الله عنه ـ :

* قال عمر بنُ الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ : أقرؤنا أبي[3] وخطبَ عمر أيضاً بالجابيةِ ونوَّه عن عِلْم أُبيّ بالقُرآن الكريم

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين ص ٦٣٧) .

(٢) انظر : معرفة القراء الكبار (١/٢٧) .

(٣) أخرجه البخاري برقم(٢٤٨١) و (٥٠٠٥) .

فقال : مَنْ أراد أنْ يسأل عنِ القُرآن ، فليأت أبيّ بن كعب[1] .

* وقال له أيضاً في دمشق : قد جعل الله عندك عِلماً فعلّمِ الناس ما عُلِّمت .

* وأُبيٌّ هذا قال له رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الله أمرني أنْ أقرأَ عليك :

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة : ١] » .

فقال : الله سمّاني لك ؟

قال : « نعم »

قال : وذُكرتُ عند ربِّ العَالمين ؟

قال : « نعم » فذرفتْ عيناه[2] .

* إذن ، فهذا القارىءُ الحافظ هو أُبيّ بنُ كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاريّ النَّجاريّ المدَنيّ المُقرىء سيِّد القُرّاء ، وأقرأ الأمّة

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١/٣٩٤) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/١٣٠ و ١٣٧ و ١٨٥ و ٢١٨ و ٢٣٣ و ٢٧٣ و ٢٨٤) والبخاري في المناقب برقم (٤٩٥٩ و ٤٩٦٠ و ٤٩٦١) ومسلم في مواضع برقم (١٢١ و ١٢٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٧٩٩) والترمذي برقم (٣٧٩٥) .

ـ رضي الله عنه ـ[1] .

* جَمَعَ القُرآن وعرضه على رسول الله ﷺ ، وشهد به بالجودة فقال : « أقرأُ أمّتي أُبيّ بن كعب »[2] وقد حفظ عن النَّبيّ ﷺ عِلْماً مباركاً ، وكان رأساً في العِلْم والعَمل ـ رضي الله عنه ـ .

* قال أُبيٌّ لعمر ـ رضي الله عنهما ـ : إنّي تلقيتُ القُرآن ممن تلقّاه من جبريل وهو رطب[3] .

* أخذ القراءة عنه ابنُ عباس ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن السَّائب ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وأبو عبد الرحمن السُّلميّ .

* عاش أبيُّ بن كعب ينعمُ في نعيمِ القُرآن الكريم طيلة حياته ، فلقد كان له نصيبٌ من التِّلاوة في كلِّ يومٍ وليلةٍ ، وكان

---

(١) طبقات ابن سعد (٤٩٨/٣ ـ ٥٠٢) ومعرفة القراء الكبار (٢٨/١ ـ ٣١) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١) وغيرها .

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب برقم (٣٧٩٣) وابن ماجه في المقدمة (١٥٤) .

(٣) المسند (١١٧/٥) .

ـ رضي الله عنه ـ يختمُ القُرآن الكريم في ثماني ليال[1] .

* وفي حياة النَّبيِّ ﷺ كان يحظى بالمكانةِ اللائقة ، وأثنى عليه بالعِلْم وهنأه على جَوْدَة فهمه ، فقد سأله ﷺ عن أي آية في القُرآن أعظم ؟ فقال أُبيّ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ضرب النَّبيُّ ﷺ وقال : « ليهنك العِلم أبا المنذر »[2] إن رجلاً يهنئه رسول الله ﷺ بالعلم لذو حظ عظيم ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] يضاف إلى ذلك أن رسول الله ﷺ كان يقول : « استقرؤوا القرآن من أربعة وذكر منهم أبي بن كعب » .

* جاءت صفة أُبيّ في المصادر بأنَّه كان ربعة من الرِّجال ، أبيض الرّأس واللحية ، قال أبو نضرة العَبْديّ : قال رجلٌ منّا يُقال له جابر أو جُويبر : طلبتُ حاجةً إلى عمرَ وإلى جنبه رجلٌ أبيض الثِّياب والشَّعر ، فقال : إنَّ الدنيا فيها بلاغنا وزادنا إلى الآخرة ، وفيها أعمالنا التي نجزى بها في الآخرة .

---

(١) معرفة القراء الكبار (١/٣٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٤٢) ومسلم برقم (٨١٠) وأبو داود برقم (١٤٦٠) ومعنى « ليهنك العلم » أي : هنيئاً لك .

فقلتُ : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذا سيّد المسلمين أبيّ بن كعب .

* وكان أبيّ ـ رضي الله عنه ـ قد اتّخذ القُرآن شعاراً له في أقواله وأفعاله ، فالقُرآن الكريم منبع الخيرات في جميع المجالات ، وكان أبيّ ينصحُ الناس في اتخاذِ القُرآن إماماً لهم في كلِّ أعمالهم .

قال رجلٌ لأُبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ : أوصني .

قال : اتخذ كتاب الله إماماً ، وارضَ به قاضياً وحكماً ، فإنَّه الذي استخلف فيكم رسولكم ، شفيع ، مطاع ، وشاهد لا يُتهم ، فيه ذكركم وذكْرُ مَنْ قبلكم ، وحكمُ ما بينكم ، وخبركم ، وخَبَر ما بعدكم[1] .

* وشهد أُبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ العقبةَ وبدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ ، وهو منْ رُواة الحديث ، روى (١٦٤ حديثاً) وهو أوّل مَنْ كَتَب لرسول الله ﷺ مقدمه المدينة ، وهو أوَّل مَنْ كتب في آخر الكتاب : وكَتَب فلان .

* قال ابن عبد البّر في « الاستيعاب » : كان أُبيّ بن كعب

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٩٢ و ٣٩٣) نقلاً عن الحلية (١/٢٥٣) .

ممن كتب لرسولِ الله ﷺ قبل زيد بن ثابت ، ومعه أيضاً ، وكان زيدٌ ألزم الصَّحابة لكتابةِ الوحيّ ، وكان يكتب كثيراً منَ الرسائل ، وكان أبيٌّ وزيدٌ يكتبان الوحي بين يدي رسول الله ﷺ .

* توفي أبي بالمدينة سنة (١٩ أو ٢٠ هـ) وقال عنه عمر يوم مات : اليوم مات سيّد المسلمين ـ رضي الله عنه ـ .

رابعاً : عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعودٍ ـ رضي الله عنه ـ :

* كان معدوداً في أذكياءِ العُلَماء ، وكان لطيفاً فَطناً ، جَمَعَ القُرآنَ الكريمَ على عَهْدِ رسولِ الله ﷺ وأقرأه ، وكان يقول : حفظتُ من فيّ رسولِ الله ﷺ سبعينَ سُورة . وتفقه به خلقٌ كثيرون ، وكانوا لا يفضِّلُون عليه أحداً في العلم ، وكان يخدمُ النَّبيَّ ﷺ ويلزمه ، ويحمل نَعْل النَّبيِّ ﷺ إذا خلعها .

* وصفه أصحابه فقالوا : كان رجُلاً نحيفاً ، لطيفَ القّد ، أسمر ، حَسن البَزّة ، طيِّب الرائحة ، موصوفاً بالذّكاء والفطنة .

* وذكره الإمام الذَّهبيُّ في نُبَلائِهِ فقال : الإمامُ الحبرُ ، فقيهُ الأمّة ، من السَّابقين الأوّلين ، ومن النُّجباء والعَالمين[1] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/٤٦١) .

* هذا الإمام الحافظُ العالم المُعلَّم هو عبد الله بن مسعود بن غافل أبو عبد الرحمن الهذليّ المكيّ المهاجريّ[1] ، كان من السَّابقين الحائزين شرفَ الانضمامِ إلى الثُّلة الأولى التي اقتطفتْ ثمرات الإيمان ، ونعمت بنعيمِ الإسلام ، فكان درّة فريدةً في ذلك العِقْد الفريد من أصحاب رسولِ الله ﷺ ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشَاهد .

* لزم عبد الله بن مسعود رسولَ الله ﷺ منذ أنْ كان فتًى لم يشتدَّ عوده بعد ، نشأَ وقد قرعت سمعه كلمات القُرآن الأولى منذ أن نزلتْ على قَلْبِ الحبيب المصطفى ﷺ ، فأدرك أنَّ العِلْمَ والحِفْظَ من علامات الإسلام ، فلزمَ رسول الله ﷺ ، فحفظ القُرآنَ الكريم عنه ، وشُغِفَ بالحديثِ النّبويّ ، وسَعِد بالحياةِ في هاتيك الرّياض النَّضرة التي تحفّها الملائكة ، ويتنزل فيها جبريل يحمل كلام ربّ العالمين .

* اقتعد عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مكاناً عليّاً بين أصحاب رسول الله ﷺ ، فكان النَّبيُّ الكريم يطلعه على أسرارهِ

---

(١) حلية الأولياء (١/١٢٤ ـ ١٣٩) وسير أعلام النبلاء (١/٤٦١ ـ ٥٠٠) وغير ذلك .

ونجواه ، وكان يتولى فراش النَّبيِّ ﷺ ، ووساده ، وسواكه ، ونعله ، وطهوره ، ولكثرةِ دخوله البيتَ النَّبويَّ الطَّاهر ، ظنَّه الحافظُ القارىءُ العَالِمُ أبو موسى الأشعريّ بأنَّه منْ أهلِ البيت الطَّاهر .

* قال أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ : قدمتُ أنا وأخي من اليمنِ ، فمكثنا حيناً ما نرى إلا أنَّ عبد الله بن مسعود رجلٌ من أهلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ ، لما نرى منْ دخولهِ ، ودخول أمّه على النَّبيِّ ﷺ(١) .

* عاش ابنُ مسعود للقُرآن ومع القرآن ، فحفظ وأتقن ، ووعى القرآن مشافهة ، وأضحى من أعْلَم العُلَماء بكتاب الله ، فلا غرابة أنْ نجدَ رسولَ الله ﷺ يمتدحه ، ويرشد الصَّحابة فمن بعدهم لكنوزِ علومه القُرآنية فيقول : « خُذوا القُرآن من أربعة : من ابن أم عبد ـ فبدأ به ـ ومعاذ بن جبل ، وأُبيّ بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة »(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في الفضائل برقم (٧٣٧٣) وفي المغازي برقم (٤٣٨٤) ومسلم في الفضائل برقم (٢٤٦٠) والترمذي في المناقب برقم (٣٨٠٨) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٠) ومسلم برقم (٢٤٦٤) وانظر : جامع الأصول (٥٦٨/٨ و ٥٦٩) .

* لا ، بل إنَّ الحبيبَ المصطفى ﷺ وصفَ قراءة ابن مسعود بأنها غضّة نديّة فوّاحة بأطيبِ الطِّيب ، وامتدحها بما لا مزيد عليه فقال : « مَنْ أحبَّ أنْ يقرأَ القُرآن غضّاً كما أُنزل فليقرأه على قراءةِ ابن أمّ عبد »[1] فقد كان عبد الله بن مسعود حَسَن الصَّوت بالقُرآن الكريم .

* ولقد كان عبد الله بن مسعود من علماء الصَّحابة في القرآن ومعالم التَّنزيل ، وكان منْ أوائلِ ما أخذه عن رسولِ الله ﷺ ما حدث به تلميذه عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعتُ ابن مسعود يقول في بني إسرائيل ـ سورة الإسراء ـ والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء : إنَّهنّ من العِتَاق الأُوَل ، وهُنَّ من تلادي[2] .

* ويبدو أنَّ بقيةَ القُرآن أخذه من أصحابه ، ويقوي هذا القول عندما جاءه رهطٌ من النَّاس يسألونه عن سورةٍ لم يكنْ أخذَها عن النَّبيِّ ﷺ صرّح لهم بذلك ، ودلّهم على مَنْ تلقاها

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٩٤) . .

(٢) وهذا مما يرفع منزلة عبد الله بن مسعود ويشير إلى تواضعه ومعرفة أقدار أصحابه . و « العتاق » : أي أنهن من قديم ما نزل . و « التالد » : القديم ، وعكسها : الطارق ، أي : الجديد .

عن الرسول ﷺ شفاهاً .

* عن معد يكرب قال : أتينا عبد الله فسألناه أنْ يقرأَ علينا ﴿ طسم ﴾ المئتين فقال : ما هي معي ، ولكنْ عليكم بِمَنْ أخذها من رسولِ الله ﷺ : خبّاب بن الأرت . قال : فأتينا خبّابَ بنَ الأرت فقرأها علينا[1] .

* وكما كان عبد الله بن مسعود منْ أوعيةِ العِلْم ، كان يهتدي بهدي معلمه وحبيبه ومنقذه من الضَّلال ، ومخرجه من الظُّلمات إلى النُّور رسول الله ﷺ ؛ قيل لحذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ : أخبرنا برجلٍ قريب السَّمْتِ والدَّل برسولِ الله ﷺ حتى نلزمه . قال : ما أعلم أحداً أقرب سمتاً ولا هدياً ولا دلّاً منْ رسولِ الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أمّ عبد ، ولقد علم المحفوظون منْ أصحاب محمد ﷺ أنَّ ابن أمّ عبد من أقربهم إلى الله زلفة[2] .

* وشهد له عالم عُلماء الصَّحابة عليّ بن أبي طالب بعلم

---

(١) انظر : مجمع الزوائد (٨٤/٧) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات . ورواه الطبراني ، والسورة المقصودة هي الشعراء .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٨٤/١) وللحديث أصل في الصحيح والسنن .

وحفظ القرآن عندما قيل له : أخبرنا عن عبد الله ، فقال : علم الكتاب والسُّنَّة ، ثم انتهى .

* وقد ألقى كبار الصَّحابة مقاليد العِلْم والمعرفة أمام عبد الله بن مسعود ، فهذا أبو موسى الأشعري يُسأل فيقول : لا تسألوني عن شيءٍ ما دام هذا الحَبْرُ بين أظهركم .

* أمّا الإمام التَّابعي الشَّهير مسروق بن الأجدع فيشهد لعلم ابن مسعود وحفظه فيقول : شامت أصحاب محمّد ﷺ فوجدتُ علمهم انتهى إلى ستة : عليّ ، وعمر ، وعبد الله ، وزيد ، وأبي الدّرداء ، وأُبيّ ، ثم شامت السِّتة ، فوجدتُ علمهم انتهى إلى عليٍّ وعبد الله[1] .

* هذا ونجد أحد أكابر تلامذة ابن مسعود العُلماء يقول : ما أعدلُ بابن مسعود أحداً .

* وقال الشَّعبيُّ : ما دخل الكوفة أحد من الصَّحابة أنفع علماً ولا أفقه صاحباً من عبد الله[2] .

* هذا ، وكان عبدُ الله بن مسعود من رواة الأحاديث . روي له (٨٤٠ حديثاً) . وعاش عبد الله بضعاً وستين سنة ،

(١ و ٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٩٣ و ٤٩٤) .

وتوفي في المدينة المنورة سنة (٣٢ هـ) ـ رضي الله عنه ـ .

خامساً : زَيْدُ بنُ ثَابتٍ ـ رضي الله عنه ـ :

* صحابيٌّ أنصاريٌّ ، مقرىءٌ ، حافظٌ ، متقنٌ ، كاتبٌ ، عالمٌ ، ذو مناقب جمة ، الإمامُ الكبير ، شيخُ المقرئين ، والفَرضيين[١] ، مفتي المدينة ، أبو سعيد الخزرجيّ النّجاريّ الأنصاريّ ، كاتبُ الوحيّ ـ رضي الله عنه ـ[٢] .

* كان كاتب النَّبيِّ ﷺ وأمينه على الوحي ، وكان شابّاً ذكياً ثَقِفاً ، وكان أسنَّ من أنسِ بنِ مالك بسنة ، وجَمَعَ القرآن الكريم على عَهْدِ رسولِ الله ﷺ ، وقرأه عليه بعضه أو كله ، وغلب النّاس على القُرآن والفرائض ، ويكفيه فخراً أنَّ حَبْرَ الأُمَّة ، وترجمان القُرآن عبد الله بن عبّاس قد قرأ عليه ، وقال عنه : لقد عَلِمَ المحفوظون من أصحاب محمّد ﷺ أنَّ زيدَ بنَ ثابت من الرَّاسخين في العِلْم[٣] .

---

(١) « الفرضي » : هو الذي يعرف الفرائض ، وهو العلم بقسمة المواريث .

(٢) طبقات ابن سعد (٣٥٨/٢) وأسد الغابة (٢٧٨/٢) ومعرفة القراء الكبار (٣٦/١) وغيرها .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٤٥١/٥) .

* وكان ابنُ عباس يحترمُ زيداً ، ويعرف حقَّه ومكانته وعلمه ، فقد ذكر أنَّ ابن عباس قام إلى زيد بن ثابت ، فأخذ بركابه فقال : تنحَّ يا بن عمّ رسول الله ﷺ ! فقال : إنا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[1] .

* كان زيدٌ أحدَ الأذكياء والحفَّاظ القُرّاء ، تعلّم كتابةَ اليهود بمدة يسيرة بأمْر من النَّبيِّ ﷺ فكان يقرأ إذا كتبوا إليه ؛ حدَّث زيد عن هذا فقال : أُتي بي النَّبيَّ ﷺ مقدمه المدينة ، فقالوا : يا رسول الله ، هذا غلامٌ منْ بني النَّجار ، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة ، فقرأتُ على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك وقال : « يا زيد تعلّم لي كتاب يهود ، فإني واللهِ ما آمنهم على كتابي » فتعلمته ، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته ، وكنتُ أكتبُ لرسولِ الله ﷺ إذا كتبَ إليهم[2] .

* ولزيد أخبارٌ وضيئةٌ مباركة مع القُرآن الكريم ، فقد عاش أحداثَه كاملة ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا نزلَ عليه الوحي ، بعث إليه فكتبه[3] .

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٤٣٧) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٤٢٨ و ٤٢٩) وله أصل في كتب الحديث .
(٣) طبقات ابن سعد (٢/٣٥٨) والمعرفة والتاريخ (١/٤٨٣ و ٤٨٤) .

* ومن جلالة قَدْرِ زيد ـ رضي الله عنه ـ : أن أبا بكر الصِّدّيق ـ رضي الله عنه ـ اعتمدَ عليه في كتابة القُرآن العظيم في صُحفٍ ، وجمعه من أفواه الرِّجال ، ومنَ الأكتاف والرّقاع ، واحتفظوا بتلك الصُّحف مدة ، فكانت عند الصِّديق ، ثم تسلّمها الفَاروق ، ثم كانت بعده عند أمّ المؤمنين حفصة ، إلى أنْ ندبَ عثمان زيداً ونفراً من قريش إلى كتابة هذا المصحف العثماني ، ولم يبقَ بأيدي الأمّة قرآنٌ سواه[1] .

* إنَّ عمل زيد في جَمْعِ القُرآن العظيم يُعدُّ خصوصية كريمة ، ومزية عظيمة ، وشرفٌ تتقاصر دونه الأفلاك ، ومجدٌ رفيع اختصه به الله عزَّ وجلَّ ، فأي مجدٍ أعظم منْ كتابةِ كلام الرّحمن ؟ !! .

* لقد خلد اسم زيد على مدى الزَّمان والأيام ، فلا يذكر القُرآن الكريم ، إلا واسم زيد بن ثابت به مقرون ، وفعله ميمون ، فهنيئاً لزيد ، ورضي الله عنه .

* هذا ولم يكن إبداع زيدٍ مقصوراً في عَالَم ومجال القُرآن العظيم فحسب ، وإنّما كانت له إشراقات في ميادين الجهاد ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٤٤١) .

فشهد غزاة الخندق وهو ابنُ خمس عشرة سنة ، وكان ينقل يوم إذ مع المسلمين فأثنى رسول الله ﷺ على نشاطه فقال : « أما إنّه نعم الغلام » .

* وشهد زيد كذلك غزوة بني قريظة ، وشهد بيعة الرِّضوان ، ففاز بمرضاة الرحمنِ ، وظلَّ يلازم رسول الله ﷺ حتى توفي وهو عنه راض ، ثمّ كان خادماً للقُرآن في العصر الرَّاشديّ ، وشهد له خير النّاس وأفضل الصَّحابة بعد الرسول ﷺ أبو بكر الصِّدِّيق بتمام العَقْلِ ، وكمال الثِّقَة إذ قال له : إنك شابٌّ عاقل .

* ولزيدٍ ـ رضوانُ اللهِ عنه ـ مواقفُ خالدة ، وَعَتْها أذن التَّاريخ الواعية منها : وقوفه يوم سقيفة بني ساعدة خطيباً ليحسم الأَمْر ويقول : إنَّ رسولَ الله ﷺ كان من المهاجرين ، وإنَ الإمام يكونُ من المهاجرين ، ونحن من أنصاره ، كما كنّا أنصار رسولِ الله ﷺ .

* وفي ذلك الموقفِ الحرج وقفَ أبو بكر ـ عليه سحائب الرضوان ـ فدعا لزيدٍ وللأنصار وقال : جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً ، وثبَّت قائلكم ، ثمّ قال : أما واللهِ لو فعلتم غير

ذلك لما صالحناكم ، ثمَّ أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فقال : هذا صاحبكم فبايعوه[1].

* وفي عَهدِ الفَاروق عمر حظيَ بمحبته وثقته ، فكان عمر يستخلفه على المدينة ، فقد استخلفه أكثر من مرّة[2] ، وكان عمر يبقيه عنده ولا يرسله كغيره إلى الأمصار .

* أخرج ابنُ سعد عن القاسم قال : كان عمر يستخلفُ زيدَ بن ثابت في كل سَفَر يسافره ، وكان يفرّق النَّاس في البلدان ويوجهه في الأمور المهمّة ، ويُطلب إليه الرِّجال المسمّون فيقال له : زيد بن ثابت ، فيقول : لم يسْقُط عليَّ[3] مكان زيد ، ولكنَّ أهلَ البلد يحتاجون إلى زيدٍ فيما يجدون فيما يحدث لهم ما لا يجدون عند غيره[4] .

* كما كان لزيدٍ في ظلال الخلافة الرَّاشدة مواقف وضيئة حتى وافاه الأجل في المدينةِ المنوّرة ، فبكاه أهلها نساءً ورجالاً وشيباً وولداناً ، ورثاه حسَّان بن ثابت فقال :

(١) مجمع الزوائد (١٠٦/٥) بتصرف يسير .
(٢) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢٥٦/٢ و ٢٣٧) .
(٣) « لم يسقط عليّ » : أي لم أغفل عنه .
(٤) طبقات ابن سعد (١٧٦/٤) .

فمَـنْ للقــوافي بعــد حسَّـــانَ وابنـــه
ومَنْ للمثَـــاني بعــد زيــدِ بنِ ثــابت

* كانت وفاةُ زيدٍ سنــة (٤٥ هـ) ، فرضي الله عنــه ، وحشرنا في زمرته تحت لواء رسول اللهﷺ .

* قال ابنُ عباس لما مات زيد : هكذا ذهاب العُلماء ، دُفِنَ اليوم علمٌ كثيرٌ .

* وقال أبو هريرة : مات حَبْرُ الأمّة ! ولعلَّ الله أنْ يجعلَ في ابن عباس منه خَلَفاً .

سادساً : أَبُو مُوسى الأَشْعَريّ ـ رضي الله عنه ـ :

* اهتمَّ بالقُرآن العظيمِ اهتماماً كبيراً ، فهو أحد كبار حفّاظ القُرآن الكريم من الصَّحابة ، تلقّاه منْ رسولِ الله ﷺ مباشرة ، وسمعَ منــه النَّبيُّ ﷺ الكثير الطَّيِّب ، وأقرَّه على قراءتهِ ، وأثنى عليه بسببِ جمال صوته ، وحسْنِ أدائه .

* لقد آتاه الله عزَّ وجلَّ صوتاً نديّاً جميلاً ، ينسابُ في قلوبِ المؤمنين ويصِلُها بخالقها . فلقد كان من نجباء الصَّحابة ، وكان من أطيبِ النَّـاس صـوتاً ، بل لم يكن أحدٌ في الصَّحابة أحسن

صوتاً منه ، سمعَ النَّبيُّ ﷺ قراءته فقال : « لقد أُوتي هذا مزماراً منْ مزاميرِ آل داود » وقد استغفر له النَّبيُّ ﷺ ، واستعمله على زَبيد وعدن ، فمن هذا القارىء ؟ ! .

* إنَّه الإمامُ الكبيرُ ، صاحبُ رسولِ الله ﷺ أبو موسى الأشعريّ الفقيهُ المقرىءُ ، واسمه : عبد الله بن قيس بن سُلَيم[1] .

* حظي أبو موسى بدعوةٍ مباركةٍ طيبةٍ كريمةٍ منْ رسولِ الله ﷺ فقال : « اللهم اغفر لعبدِ الله بن قيس ذنبه ، وأَدْخِله يوم القيامة مدخلاً كريماً »[2] .

* كان أبو موسى ـ رضي الله عنه ـ قد تعلَّم القُرآن الكريم وعلَّمه ، وبذل جهداً كريماً في تعليم القُرآن الكريم ، ونشْره بين الناس في كلّ البلاد التي نزل وأقام فيها .

* ولقد أَخذَ القُرآن الكريم مساحةً كبيرة من عُمْر أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ فكان ربيع قلبه ، حَفِظَه وتفاعَل معه . ذكره

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٠ ـ ٤٠٢) وتهذيب التهذيب (٥/٢٤٩) وغير ذلك كثير .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي برقم (٤٣٣٣) ومسلم في الفضائل برقم (٢٤٩٨) .

الذَّهبيُّ في الطَّبقة الأُولى من الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقال : كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله ، إليه المنتهى في حسن الصَّوت بالقُرآن ، روى عِلْماً طيِّباً مباركاً ، أقرأ أهل البصرة وأفقههم[1] .

* كان أبو موسى يصلّي إماماً بأصحابه ، فكانوا يودون لو يقرأ سورة البقرة لحُسْنِ صوته والاستمتاع بجماله .

* وكان أبو موسى رقيقَ القلب ، شَهِدَ له النَّبيُّ ﷺ بذلك فقال : « يَقْدم عليكم غداً قوم هم أرقّ قلوباً للإسلام منكم » فقدِمَ الأشعريون ، فلّما دنوا جعلوا يرتجزون :

غَداً نلقى الأحبّة
مُحمّداً وحزبه

* فلما أنْ قدموا تصافحوا ، فكانوا أوّل مَنْ أحدثَ المُصافحة[2] .

* كما شهد له النَّبيُّ ﷺ ولقومه بأنَّهم أحبابُ الله ؛ فعن عياض الأشعريّ قال : لما نزلت : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

(١) تذكرة الحفاظ (١/٢٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٤) .

﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة : ٥٤] قال رسولُ اللهِ ﷺ : « هم قومك يا أبا موسى » وأومأ إليه[١] .

* ومناقبُ أبي موسى وأخباره كثيرة جدّاً ، استوعبتها كتُب التَّراجم والتَّاريخ ، وفي مقدمتها حرصه على الفضائل ، ولقد وصفه الذَّهبيُّ فأحسنَ وأجادَ فقال : قد كان أبو موسى صوّاماً قوّاماً ربانيّاً زاهداً عابداً ، ممن جَمعَ العِلْمَ والعَمل والجهاد وسلامة الصَّدر ، لم تغيره الإمارة ، ولا اغترَّ بالدنيا[٢] .

* وقد شهد أبو موسى فتوح الشَّام ، وكان منْ خيرةِ فرسان الصَّحابة ، قال عنه رسولُ اللهِ ﷺ : « سيّد الفَوارس أبو موسى »[٣] ، واستعمله عمر على الكوفة ، ثمَّ على البصرة والياً ومعلماً وقاضياً ، وروى (٣٦٠ حديثاً) وتوفي أبو موسى ـ رضي الله عنه ـ سنة (٤٤ هـ) وعمره (٦٣ سنة) وكانت وفاته بالكوفة ؛ وبوفاته انقطعَ الصَّوت النَّديُّ الدَّاوديُّ الجميل الذي طالما أمتع الأسماع ، وملأَ القُلوب بكلمات العزيز الحميد ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٦) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/٣٩١ ـ ٣٩٣) والاستبصار (ص ١٢٥ ـ ١٢٧) ومعرفة القراء الكبار (١/٤٠ ـ ٤٢) .

فرضي الله عنه .

سابعاً : أَبُو الدَّرْداءِ ـ رضي الله عنه ـ :

* وهذا عالمٌ حكيمٌ حافظٌ عاقلٌ اشتهر بكنيتهِ وهو : أبو الدَّرداء عُويمر بن زيد الأنصاريّ الخزرجيّ ، والإمامُ القدوةُ ، قاضي دمشق ، وسيّد القُراء فيها ، وحكيم هذه الأمّة ـ رضي الله عنه ـ[1] .

* قرأ أبو الدَّرداء القُرآن الكريم في عهد النَّبيّ ﷺ ، وهو معدود فيمن جمع القُرآن الكريم في حياة الرَّسول ﷺ وتصدَّر للإقراء بدمشقَ في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقَبْلَ ذلك ، وقد ولي أبو الدَّرداء قضاء دمشق ، وكان من العُلَماء الحُكَماء الألبّاء[2] .

* وسيرةُ أبي الدَّرداء تحملُ بين طياتها الكثيرَ الكثيرَ من الطَّيِّبات ، فقد حدّثَ أبو الدَّرداء عن حبِّه للعبادة والإسلام فقال : كنتُ تاجراً قبل المبعث ، فلّما جاء الإسلام ، جمعتُ التِّجارة والعبادة فلم يجتمعا ، فتركتُ التِّجارة ، ولزمتُ

---

(١) طبقات ابن سعد (٣٩١/٧ ـ ٣٩٣) والاستبصار (ص ١٢٥ ـ ١٢٧) ومعرفة القراء الكبار (٤٠/١ ـ ٤٢) .

(٢) معرفة القراء الكبار (٤١/١) .

العبادة[1] .

* أثنى رسولُ اللهَ ﷺ على أبي الدَّرداء وخصَّه بالحكمة فقال : « حكيمُ أُمّتي عُويمر » .

* وكما حلَّقَ أبو الدَّرداء عالياً في آفاقِ العبادة والصَّلاح والقرآن ، كان فارساً صنديداً لا يُشقُّ له غبار ، فقد ثبتَ أنَّه ردَّ كتيبةً خَشْنَاء يوم أحد ، وأبلى بلاء حسناً فقال رسول الله ﷺ : « نِعْمَ الفَارسُ عويمر »[2] .

* ولأبي الدَّرداء مكانةٌ رفيعةٌ عند قُرّاءِ الصَّحابةِ وعلمائهم ، فقد كان الصَّحابة يقولون : أَتْبَعنا للعِلْم والعمل أبو الدَّرداء .

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/٣٣٧ و ٣٣٨) وقد علّق الإمام الذَّهبيُّ ـ رحمه الله ـ تعليقاً نفيساً على حديث أبي الدرداء فقال :

الأفضل جَمْعُ الأمرَيْن مع الجهاد ، وهذا الذي قاله ـ أي أبو الدرداء ـ هو طريق الجماعة من السَّلف والصُّوفية ، ولا ريب أنَّ أمزجة النَّاس تختلفُ في ذلك : فبعضهم يقوى على الجمع ، كالصّديق ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكما كان ابن المبارك . وبعضهم يعجز ، ويقتصر على العبادة . وبعضهم يقوى في بدايته ، ثم يعجز ، وبالعكسِ . وكلٌّ سائغ ، ولكنْ لا بدَّ من النَّهضة بحقوقِ الزَّوجية والعيال . (سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥) .

(٢) المصدر السَّابق .

وكانوا يقولون : أرحمنا بنا أبو بكر ، وأنطقنا بالحقّ عمر ، وأميننا أبو عُبيدة ، وأعلمنا بالحلال والحرام معاذ ، وأقرؤنا أبيّ ، ورجل عنده عِلْم ابن مسعود ، وتبعهم عُويمر أبو الدَّرداء بالعقل .

* وكان أبو ذرّ يقول لأبي الدَّرداء : ما حملت ورقاء ، ولا أظلت خضراء أعلم منك يا أبا الدَّرداء .

* وفي رحاب القُرآن الكريم عاش أبو الدَّرداء عمره يعلّم النّاس مما تعلمه منْ رسولِ الله ﷺ ، حدث سُويد بن عبد العزيز قال : كان أبو الدَّرداء إذا صلى الغداة في جامعِ دمشق اجتمع عليه النَّاس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفاً ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غَلِط أحدهم رجع إلى عريفه ، فإذا غلطَ عريفهم رجع إلى أبي الدَّرداء يسأله عن ذلك[1] ، وكان عدد الحفّاظ الذين في حَلَقات أبي الدَّرداء يَصِلُ إلى (١٦٠٠ قارىء) .

* امتدح العُلماء والكبراء عِلْمَ أبي الدَّرداء ، فكان ابن عمر يقول : حدّثونا عن العَاقلَيْن ، فيقال : مَنِ العاقلان ؟ ! فيقول : مُعاذ ، وأبو الدَّرداء .

---

(١) معرفة القراء الكبار (١/٤١) .

* وقال القاسمُ بنُ عبد الرّحمن : كان أبو الدرداء منَ الذين أُوتوا العلم .

* وقال غيره : إنَّ أبا الدَّرداء من العُلَماء الفقهاء الذين يشفونَ من الدَّاء .

* ولأبي الدَّرداء ـ رضوان الله عليه ـ أقوال شهيرة في الحضّ على العِلْم وتحصيله ، ومن ذلك قوله :

مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجهّالكم لا يتعلّمون ؟ تعلّموا فإنَّ العالمَ والمتعلم شريكان في الأجر .

* ومن نفيسِ أقواله في هذا المجال قوله : ويل للذي لا يعلم مرة ، وويل للذي يعلمُ ولا يعمل سبع مرات .

* هذا وأخبار أبي الدَّرداء لا تحصى ، ومناقبه لا يمكن أن تُحصر ، ونذكر منها أنَّه ممن وعى الحديثَ النَّبويَّ ورواه ، روى (١٧٩ حديثاً) وعاشَ في ظلالِ الخلافة الرّاشدة ، ومات في خلافة عثمان بالشَّام سنة (٣٢ هـ) ـ رضي الله عنه ـ .

✲ ✲ ✲

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البابُ الخامسُ
الصَّحابة وتفسير القُرآن الكريم

- **الفصل الأوّل :**

نواة التفسير عند الصَّحابة .

- **الفصل الثّاني :**

هل فهمَ الصَّحابة القُرآن الكريم كاملاً ؟ .

- **الفصل الثّالث :**

طرقُ التَّفسير ومنابعها عند الصَّحابة .

- **الفصل الرابع :**

المُفَسرون منَ الصَّحابةِ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

نواةُ التَّفسير[1] عند الصَّحابة

* نزل القُرآن الكريم بلغةِ العرب على أمّة العرب ، وكان معظم العرب وقتها أُمّيين ، إلا أنَّ ألسنتهم كانت تسيلُ بألوانِ الفصَاحة والبلاغة والبَيان ، ولكنَّهم وجدوا أنَّ القُرآنَ الكريمَ يعلو على جميعِ كلامهم بما فيه من معانٍ رائعةٍ لم يرتقوا إليها ، ولم يستطيعوا أنْ يقفوا أمام فيوضات بلاغة القرآن وأسلوبه وإعجازه .

* وكان أصحابُ رسولِ الله ﷺ قد تذوّقُوا حلاوة القُرآن الكريم ، وعرفوا معانيه ، وفهموا مقاصده ، وأخذتْ كلماتُ القُرآن المُنَزَّلة منْ لدن حكيمٍ عليمٍ تحرك كوامن فصاحتهم ،

---

(١) عرّف الزركشي ـ رحمه الله ـ التَّفسير بأنّه : علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطّاقة البشرية .

وتعزز أركانَ بلاغتهم ، مما أتاح للتّساؤلات أنْ تظهرَ على الألسنةِ لاستجلاء بعض المعاني التي لم يعرفوا مقاصدها ، فكانوا يرجعون إلى معلّمهم رسول الله ﷺ ليعرفوا ما استعصى فهمه عليهم منَ القُرآن العظيم الذي تلاشت أمامه معارفهم وبلاغتهم وفصاحتهم .

* وفي اعتقادي أنَّ نواة التَّفسير قد انبثقتْ من تلكم التَّساؤلات التي وجهها الصَّحابة لرسولِ الله ﷺ كيما يستجلوا معاني القُرآن الكريم ، ويعرفوا ما أشكل عليهم منه .

* هذا ويهدف تفسير أصحاب رسول الله ﷺ للقُرآن الكريم إلى معرفة المنهج الإلهيّ القويم ، والتذكير بحقّ اللهِ على عباده ، ممن إنقاذهم من شَرَك الضَّلال ، وشِبَاك الشَّيطان ، وتغذية القلوب والنُّفوس والأرواح من كلام اللهِ ، والارتواء من حَوضِ القُرآن الكريم ، ومعينه الذي لا ينضب ، مع الاتعاظِ بحكمه ، والاستزادةِ من فَضْله ، والأنس بجانبه ، والاهتداء بهديه ، ليخرج النّاس من الظُّلمات إلى النُّور ، ويكسبوا الأجر الكبير ، تطبيقاً لقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩] .

* ولقد ظهر علمُ التَّفسير حقيقة مع نزولِ القُرآن الكريم ، وذلك بأن يُبيّن القرآن معنى آية بآية أخرى ، ثم تجلّى التَّفسير بشكلٍ أوسع في بيان الرَّسول ﷺ وتوضيحه بتفسير آيات القُرآن الكريم ، وتحديد معناها ، ومعرفة أحكام الله تعالى الواردة في القُرآن الكريم عن طريقِ الحديث النَّبويِّ الشَّريف قولاً وفعلاً وتقريراً ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ أوّل مفسّر منَ البَشر للقُرآن الكريم ، وهو أعلمهم بمعاني ومقاصد القُرآن العظيم .

* * *

الفصل الثاني

هل فهمَ الصَّحابةُ القُرآن الكريم كاملاً ؟

* أستطيعُ أنْ أقول : إنَّ ثلةً كبيرةً من أصحابِ رسول الله ﷺ قد حفظُوا القُرآنَ الكريمَ كاملاً ـ كما مرَّ معنا ـ ولكنْ هل فهم الصَّحابة القُرآن الكريم وتفسير معانيه ؟ ! .

* في الحقيقةِ كان الصَّحابةُ متفاوتينَ في فَهْمِ معاني القُرآن الكريم ، ولم يَرِدْ أنَّ أحدهم قد فَسَّر القُرآن الكريم كاملاً ، أو فهم معانيه جميعها ، بل فهمَ بعضهم شيئاً منه ، وأشكلَ على بعضهم أشياءَ ، فهناك كثيرٌ منْ مُفردات القُرآن قد خفيتْ معانيها على بعضِ الصَّحابة ، فقد خفيت كلمةٌ على ترجمان القرآن ابن عباس ، ولم يعرف معناها إلا بعد سماعها .

* رويَ عن ابن عباس أنَّه قال : كنتُ لا أدري ما فاطر السَّموات حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئرٍ ، فقال أحدهما : أنا

فطرتُها ، أي بدأتها[1] .

* ولكن هنالك مواضع كان الصَّحابة يتوقفون عندها ، فلا يفسّرونها ، ويرجعون العِلْم فيها لله عزَّ وجلَّ . من ذلك ما ورد أنَّ رجلاً سأل ابنَ عبّاس عن قوله تعالى : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : ٤] فقال ابنُ عباس : هما يومان ذكرهما الله في كتابه ، الله أعلم بهما[2] .

* وكان هناك بعضُ الصَّحابة قد أخطأَ الفهم لبعضِ الآيات ، فأرشده رسولُ اللهِ ﷺ إلى الصِّراط السَّويِّ في هذا المضمار ، من ذلك ما ورد أنَّ الصَّحابي عدي بن حاتم الطَّائي سمعَ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة : ١٨٧]

عمد إلى عقالٍ[3] أسود وإلى عقالٍ أبيض ، فجعلهما تحت وساده وجعل ينظر في الليل فلا يستبين له ، فلمّا أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فذكر له ذلك ، فقال له : « ذلك سوادُ الليل .

---

١ و ٢) انظر : الإتقان (٢/٧٢٨) طبعة دار ابن كثير المحققة .

(٣) « عقال » : حبل .

وبياض النهار »[1] .

✡ ✡ ✡

(١) للحديث أصل في صحيح البخاري برقم (١٩١٦) و (٤٥٠٩ و ٤٥١٠) ومسلم برقم (١٠٩٠) وأبو داود برقم (٢٣٤٩) والترمذي برقم (٢٩٧٤ و ٢٩٧٥) .

الفصل الثالث

طرقُ التَّفْسير ومنابعُها عِنْد الصَّحابة

* اعتمد مفسرو الصَّحابة في تفسيرهم للقُرآن الكريم على بعضِ المنابعِ المتيسرة في عصرهم ، ويمكننا تحديد بعض تلكم المنابع على النَّحو التَّالي :

أ ـ ما سمعوه منَ النَّبيِّ الكريمِ ﷺ كتفسيرٍ وتبيين لبعض المعاني .

ب ـ سؤالهم رسول الله ﷺ عن معنى أو حكم فيما كان ينزلُ من القرآن الكريم . قال الإمامُ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشَّافعي ـ رحمه الله ـ : كلُّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه منَ القُرآن ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾

[النساء : ١٠٥] وقالَ رسولُ الله ﷺ : « ألا وإنّي أوتيتُ القُرآن ومثله معه » ـ يعني السُّنَّة ـ والسُّنَّة أيضاً تنزلُ عليه بالوحي كما ينزل القُرآن ، إلا أنَّها لا تُتلى كما يُتلى القُرآن

ج ـ الرَّبطُ بين آيات القُرآن الكريم وتفسير القُرآن بالقرآن .

د ـ ما فهموه من خلالِ الأحاديث النَّبويّة الشَّريفة التي عقلوها عن رسول الله ﷺ .

هـ ـ معرفتهم أسباب النُّزول منْ خلالِ الوقائع والأحداث التي كانت تجري عند نزولِ الوحي ، وما أحاط بالقُرآن الكريم من ظروفٍ وملابساتٍ تُعين على فهمهم .

و ـ ما فهموه باللغةِ حيثُ إنَّ الصَّحابة هم فُرسان الفَصَاحة وأمراء البيان ، وكان بعض الصَّحابة واسع الاطلاعِ باللغة ، عارفاً بغريبها ، لذا فقد كانت تفاسيرهم تشيرُ إلى مدى اتساع مواهبهم العقلية . قال ابن قتيبة في كتابه « المَسائل والأجوبة » : إنَّ العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القُرآن من الغريب والمتشابه ، بل إنَّ بعضها يفضل في ذلك على بعض .

ز ـ اجتهادهم وقوة استنباطهم ، وسَعَة إدراكهم ، ومعرفتهم عادات العرب ، وخفايا أسرارهم وأحوالهم .

هذا ولقد عمل أصحابُ رسولِ الله ﷺ جهدهم في التَّفكير بمعاني القُرآن العظيم وتفسيره[1] ، والغوص والبحث عن دُرَره في بحارِ أَنْواره ، قال ابنُ مسعود ـ رضي الله عنه ـ : مَنْ أرادَ عِلْم الأوّلين والآخرِين ، فليثوِّر القرآن[2] .

---

(١) إنّ أحسنَ طرق التّفسير كما قيل : أنْ يُفسَّر القُرآن بالقرآن ، فما أُجْمِلَ في مكانٍ قد فُصِّلَ في موضعٍ آخر ، وما اختُصِر في مكان فإنَّه قد بُسِطَ في آخر ، فإنْ أعيَاكَ ذلك فعليك بالسُّنَّة ، فإنَّها شارحة للقُرآن ، وموضحة له ، فإنْ لم يوجد في السُّنَّة يُرجع إلى أقوال الصَّحابة ، فإنّهم أدرى بذلك ، لما شاهدوه من القَرائن ، ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب (البرهان ٢/١٧٥ و ١٧٦) باختصار .

(٢) « يثوِّر » : ينقّر عنه ، ويفكّر في معانيه وتفسيره وقراءته .

الفصل الرابع

المفسِّرون منَ الصَّحابَة

* تخرَّجَ في مدرسةِ التَّفسير المحمدية عددٌ منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، اشتهروا بتفسيرِ القُرآن الكريم ، وقالوا في القُرآن الكريم بما عرفوه منْ أسبابِ النُّزول وبما سمعوه من معلّمهم الأوّل رسول الله ﷺ ، وبما أكرمهم الله عزَّ وجلَّ منْ معارفَ ، وبما فتح عليهم من اجتهاد وحكمة .

* وقد اشتهر بالتَّفسير من الصَّحابة عشرة : الخلفاء الراشدون الأربعة : أبو بكر ، عمر ، عثمان ، وعليّ ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عبّاس ، وأُبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزُّبير - رضي الله عنهم - جميعاً[1] .

---

(١) هنالك ثلة كريمة من الصَّحابة قد تكلمت في التّفسير غير أولئك =

* فأمّا الخُلفاء الرَّاشدون ، فأكثرهم روايةً للتَّفسير عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ والرِّواية عن الثَّلاثة نزرة جداً ، وكان السَّبب في ذلك تقدم وفاتهم .

* أمَّا ابنُ عباس ، فقد سمّاه رسول الله ﷺ « ترجمان القرآن » كما كان لعبد الله بن مسعود مكانة عُظمى في عالَم المفسِّرين ، وقد شَغَل اسمُ هذَيْن الصَّحابيَيْن الكبيرينِ حيّزاً واسعاً في كُتُب التَّفْسير ، وفي ذلك يقولُ ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ : وحينئذ إذا لم نجدِ التَّفسيرَ في القُرآن ، ولا في السُّنَّة ، رجعنا في ذلك إلى أقوالِ الصَّحابة ، فإنَّهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصّوا بها ، ولما لهم من الفَهْم التَّام والعلم الصَّحيح ، والعمل الصَّالح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم ، كالأئمةِ الأربعةِ الخلفاء الرّاشدين ، والأئمة المهديين ، وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ [1] .

* يتابع ابن كثير قوله في ذكر عَلَم المفسِّرين وعالمهم ابن

= العشرةمنهم : آنس بن مالك ، أبو هريرة ، عبد الله بن عمر ، جابر بن عبد الله ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنهم ـ جميعاً .

(١) تفسير ابن كثير (١٣/١) .

عبـاس فيقـول : ومنهـم الحَبْـر عبـد الله بن عبّـاس ، ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ، وببركة دعاء رسول الله ﷺ حيث قال : « اللهم فقهه في الدِّيْن وعلّمه التَّأويل »[1] ثم قال : عن مسروق عن ابن مسعود أنّه قال : نعم التّرجمان للقرآن ابن عباس[2] .

* وفي الصَّفحـات التَّاليـة سنعيش مع أشهرِ مفسِّـر للقُرآن الكريم ، ابن عبّاس ترجمان القرآن ، وسنلقي الأضواء على حياته العلمية في مجالِ التَّفسير بشيءٍ من التَّوسّع كي تتضح الصّورة أكثر ، وكي ندرك مدى علم أصحاب رسول الله ﷺ .

عَبْدُ الله بن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ :

* ابنُ عمّ النَّبيِّ ﷺ ، فهو إذن هاشميٌّ قرشيٌّ ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنينِ بشِعْبِ بني هاشم ، فلزم النَّبيَّ ﷺ ، فبُورك له في وقته وعلْمِه .

(١ و ٢) تفسير ابن كثير (١٣/١) ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنّه قال عن ابن عباس هذه العبارة ، وهي بحقّ شهادة كريمة من حَبْر إلى حَبْر ، هذا وقد ماتَ ابنُ مسعود ـ رضي الله عنه ـ سنة (٣٢ هـ) وعمر بعده ابن عبّاس ستاً وثلاثين سنة ، وقد اكتسب وكسب من العلوم والمعارف أشياء لا تحصر .

* وهو حَبْرُ الأمّة ، وفقيهُ العصر ، وإمامُ التّفسير أبو العباس عبدُ الله بن عبّاس القرشيّ الهاشميّ المكيّ الأمير ـ رضي الله عنه[1] ـ .

* كان أبيضَ ، وسيماً ، جميلاً ، مديدَ القامة ، مهيباً ، كامل العقل ، زكيَّ النَّفس ، من رجالِ الكمال ، مَسَحَ النَّبيُّ ﷺ على رأسه ودعا له بالحكمة ، روى ابنُ عباس هذا فقال : دعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين[2] .

* افتتح أبو نُعيم ترجمةَ ابن عبّاس في « حليته » بأحلى كلام فقال : ومنهم : اللقِنُ المعلّم ، والفَطِن المُلهم ، فخر الفخار ، وبدر الأحبار ، وقطب الأفلاك ، وعنصر الأملاك ، والبحر الزَّخَّار ، والعين الخرار ، مفسِّر التَّنزيل ، ومبينُ التّأويل ، المتفرسُ الحسَّاس ، والوضيء اللباس ، مكرم الجلاس ، ومطعم الأناس ، عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ[3] .

---

(١) طبقات ابن سعد (٢/٣٦٥) والبداية والنهاية (٨/٢٩٥) وسير أعلام النبلاء (٣/٣٣١ ـ ٣٥١) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢/٣٦٥) والترمذي برقم (٣٨٢٣) .

(٣) حلية الأولياء (١/٣١٤) .

* نشأ عبدُ الله بنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ على حبِّ المعرفة والعلم ، وكان يتثبتُ ويتأكد منَ العِلْم بكثرةِ السُّؤال ، وفي ذلك يقول : إنْ كنتُ لأسأل عن الأَمْرِ الواحدِ ثلاثين من أصحاب رسولِ الله ﷺ .

* وصفَ علمه وتفسيره الحسن البصريُّ فقال : كان ابنُ عبّاس من الإسلام بمنزل ، وكان منَ القُرآن بمنزل ، وكان يقوم على منبرنا هذا ، فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية ، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ إذا ذكره قال : ذلك فتى الكهُول ، له لسان سؤول ، وقلبٌ عقول[1] .

* وكان ابنُ عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ يسمّى البحر لكثرة علمه ، وكان له موكبٌ ممن يطلب العلم ، وما أجمل قول مسروق عنه : كنتُ إذا رأيتُ ابنَ عباس قلتُ : أجمل النَّاس ، فإذا نطقَ قلتُ : أفصح النّاس ، فإذا تحدَّث قلت : أعلم الناس .

* ومما امتدحه به حسَّان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ فأحسن وأجاد وأطاب وأصاب حيث قال :

---

(١) مجمع الزوائد (٩/٢٧٧) .

إذا مـــا ابنُ عبّـــاسٍ بدا لك وجهـــه
رأيتَ له في كلِّ أقـــوالهِ فَضْـــــلا
إذا قـــال لم يـــترك مَقَـــالاً لقـــائـــل
بمنتـظـمـــاتٍ لا تـرى بينهـــا فَصْـــلا
كفـى وشـفى مـا في النَفـوس فـلم يدعْ
لذي أربٍ في القـــولِ جـدّاً ولا هَـزْلا
سمـوتَ إلى العـــليـــا بغـــيرِ مشـقّـــة
فنـــلتَ ذراهـــا لا دنيـــاً ولا وَغْـــلا

ابنُ عبَّاس إمام الصَّحابةِ المُفسِّرين :

* إذا ذكرنا عِلْمَ التَّفْسير ، فلا شكَّ أنَّ أوَّل اسم يُصافحُ أسماعَنَا هو عبد الله بن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ .

* ومهما تحدثنا عن المفسِّرين من أصحابِ رسول الله ﷺ ، فمما لا شك فيه أنَّ عبدَ الله بنَ عبّاس قد أبدعَ وبرعَ في كتاب الله حِفْظاً وتفسيراً ، وبلغ فيه شأواً لم يبلغه غيره من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فحقّ له أن يُسمّى : ترجمان القُرآن . قال ابنُ مسعود : نِعْمَ ترجمان القُرآن ابن عباس .

* ولقد كان عبد الله بنُ عباس يجيد فنَّ التَّفْسير ، ويتقن تفسيرَ

القُرآن الكريم كلّه ، قال ابنُ أبي مُليكة : رأيت مجاهداً يسأل ابن عبّاس عن تفسير القُرآن ، ومعه ألواحه ، فيقول له ابنُ عباس : اكتب ، قال : حتى سأله عن التَّفْسير كلّه .

* وعن مجاهد نفسه قال : عرضتُ المصحفَ على ابنِ عبّاس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كلّ آية منه أسأله عنها .

* ولهذا كان ابنُ عباس ـ رضي الله عنه ـ يلَقَّبُ بالبحر ، وبالحبر لكثرة علمه ، وكان ـ رضي الله عنه ـ على درجةٍ عظيمة منَ المعرفةِ بمعاني كتاب الله تعالى ، وقد انتهتْ إليه الرِّياسة في التَّفْسير والفتوى .

ممن استَقَى علْمَه بالتَّفْسير ؟ :

* سوالٌ يعتملُ في الأذهانِ ؛ منْ أينَ حازَ ابنُ عبّاس عِلْمَه الغزير في القُرآن الكريم ، وكيف نبغَ بالتَّفسير ، وكيف حظي بالشُّهرة العلميّة الواسعة ؟ ! .

* وللإجابةُ عن هذه التَّساؤلات نقول : إنَّ حياة عبد الله بن عبّاس كانت حياةً حافلةً بالعلم ، كان يتعلّم ويسأل ويشتغلُ بالبحث ، ويطّلع ، وقد أُوتي فصاحةً نادرة ، ونبوغاً شاملاً

كاملاً حتى قال عنه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ابنُ عبّاس أعلم أمّة محمّد ﷺ بما نزل على محمّد ﷺ .

* ونستطيع أنْ نَحْصرَ حيازةَ ابن عبّاس لعلْمِ التَّفْسير في النواحي التالية :

١ ـ النَّشأةُ الصَّافيةُ والحياةُ العلميّةُ الكريمةُ التي عاشها في بيت النّبوةِ الطَّاهر ، وملازمتهِ رسولَ اللهِ ﷺ ومشاهدته بعضَ الحوادث التي تنزّل فيهما القُرآن الكريم .

٢ ـ إنَّ عبدَ الله بنَ عبّاس قد حظيَ بدعوةٍ مباركةٍ منْ رسولِ الله ﷺ حيثُ قال : « اللهم فقهه في الدِّيْنِ وعلمه التّأويل » وقد استجابَ الله عزَّ وجلَّ لرسولهِ فكان ابنُ عبّاس أعلم الصَّحابة بالتَّفْسير .

٣ ـ بعد وفاةِ النَّبي ﷺ لزمَ ابنُ عباس أصحاب رسول الله ﷺ ولازم علماء الصَّحابة ، يتردد على أولي العِلْم منهم ، يستقي منْ معين علمهم ، ولقد استفاد من ابنِ عمّه عليّ بن أبي طالب فقال : ما أخذتُ منْ تفسيرِ القرآن فعن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ .

٤ ـ يُضاف إلى ذلك ملازمته للصَّحابة الأنصار أُولي

العِلْم ، وقد تحدَّث ابنُ عباس عن ذلك فقال : وجدتُ عامّة حديثِ رسول الله ﷺ عند الأنصار ، فإن كنتُ لآتي الرَّجل فأجده نائماً ، لو شئتُ أن يُوقظ لي لأوقظ ، فأجلسُ على بابه تسفي على وجهي الرّيح حتى يستيقظَ متى استيقظ ، وأسأله عما أريد ثمّ أنصرف .

٥ ـ حرصه على التَّعلُم والعِلْم ، وصبره في تحصيله وكثرة سؤاله وتثبته ، فلقد أصاب علمه بما تحدَّث هو عن نفسه حينما قيل له : أنّى أصبتَ هذا العِلْم ؟ ! .

فقال : بلسانٍ سؤول ، وقلبٍ عقُول[1] .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يرغِّب في العِلْم وتعلّم القُرآن الكريم ، فعن عليّ الأزدي قال : سألتُ ابنَ عبّاس ـ رضي الله عنه ـ عن الجهادِ فقال : ألا أدلّك على ما هو خيرٌ لك منَ الجهادِ ؟ تجيء مسجداً فتعلّم فيه القُرآن والفِقْه في الدِّيْنِ .

٦ ـ بلوغه مرتبة الاجتهاد ، وقراءته للقُرآن بتفكر ، ومعرفته لأسرارِ اللغة العربية وإعجازها وبلاغتها وآدابها ، وكثيراً ما كانت شواهده في التَّفسير من عيونِ الشِّعر العربيّ ، ولا أدلَّ على ذلك من مسائل نافع بن الأزرق التي سألها ابن عبّاس فكان

(١) البداية والنهاية (٨/٢٩٩) .

يجيبه عنها ، ويستشهد لكلّ كلمة يفسرها ببيتٍ من الشِّعر ، وقد كان ابنُ عباس يقول : إذا سألتموني عن غريب القُرآن فالتمسوه في الشِّعر ، فإنَّ الشِّعر ديوان العرب .

* هذا وقد سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن (١٨٩ مسألة) استوعبها السُّيوطي في « الإتقان » وفي كلِّ مسألة كان يجيبُ ببيان ، ويستشهد بأعلام الشُّعراء ليقوي حجته .

* هذه الأسباب ـ وما شابهها ـ جعلتْ عبدَ الله بنَ عباس يقتعد مكانةً ساميةً في عالَم التَّفْسير مما جعل الزَّركشيَّ يصرح بأنَّ قولَ ابن عباس مقدَّم على قولِ غيره من الصَّحابة عند تعارض ما جاء عنهم في التَّفْسير ، وقد أثنى على ابنِ عباس في التَّفسير عَلَمُ المفسِّرين من الخلفاء عليّ بن أبي طالب فقال : كأنَّما ينظرُ إلى الغيبِ من سِتْرٍ رقيق . وقال ابن عمر : ابن عبّاس أعلم أمّة محمّد بما نزل على محمّد .

* وكما أبدعَ ابنُ عباس في التَّفسير ، فقد حلَّق في علمِ الحديث ، فهو أحد السَّبعة[1] الذين أكثروا رواية الحديث عن

---

(١) الصحابةُ السَّبعة المكثرون للرواية عن رسول الله ﷺ هم : أبو هريرة روى (٥٣٧٤ حديثاً) عبد الله بن عمر روى (٢٦٣٠ حديثاً) أنسُ بن مالك =

النَّبيّ ﷺ حيث روى (١٦٦٠) حديثاً .

* وظلَّ ابنُ عباس ـ رضي الله عنه ـ يرفدُ الأمَّة الإسلامية بعطائه أكثر من نصف قرنٍ ، وفي عام (٥٨ هـ) مات ابن عباس ، وغابتْ بموته شموسٌ ، وخبت أضواءُ معارفه ؛ وكان موته بالطّائف ودُفن فيها .

* ولما دُفنَ ابنُ عبّاس قال محمّد بن الحنفية : اليومَ ماتَ ربانيُّ هذه الأمّة[1] .

* وقال جابرُ بنُ عبد الله ـ وقد صفق بإحدى يديه على الأخرى عندما سمع نبأ موته ـ : ماتَ أعلمُ النَّاس ، وأحلم

= روى (٢٢٨٦ حديثاً) عائشةُ أمّ المؤمنين روت (٢٢١٠ أحاديث) عبدُ الله بن عباس روى (١٦٦٠ حديثاً) جابرُ بن عبد الله روى (١٥٤٠ حديثاً) أبو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك روى (١١٧٠ حديثاً) وقد نظم أسماء هؤلاء بعض أهل العلم فقال :

سبعٌ منَ الصَّحب فوقَ الألف قد نقلوا
من الحديثِ عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعدٌ جابر أنس
صِدّيقة وابن عبّاس كذا ابن عمر

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٧) .

النَّاس ، ولقد أُصيبتْ به هذه الأمّة مصيبة لا تُرتق .

* قال سعيدُ بنُ جُبير : ماتَ ابنُ عبّاس بالطَّائف ، فجاء طائرٌ لم يُرَ على خلقته ، فدخلَ نعشه ، ثمَّ لم يُرَ خارجاً منه فلمَّا دُفِنَ ، تُليتْ هذه الآية على شفيرِ القبر لا يُدرى مَنْ تلاها :

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾

[الفجر : ٢٧ ـ ٣٠][1] .

عَبْدُ الله بنُ عمرو بنِ العَاص ـ رضي الله عنهما ـ :

* وهذا إمامٌ آخر منْ أئمة التَّفسير .له أيادٍ بيض في خدمةِ القُرآن العظيم في جميعِ المجالات ومنها مجال التَّفسير ، وله مناقبُ وفضائلُ ، ومقامٌ راسخٌ في العِلْم والعَمَلِ ، حمل عن النَّبيِّ ﷺ عِلماً جمّاً .

* ذكره الإمامُ الذَّهبي بقوله : الإمامُ الحبرُ العابدُ ، صاحبُ رسولِ الله ﷺ وابن صاحبه ، أبو محمّد عبد الله بن عمرو بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٨) .

العاص القرشيّ السَّهمي[1] .

* كان النَّبيُّ ﷺ يحبُّه ويكرمه ، وكان مجدّاً مجتهداً في العبادةِ مكثراً لتلاوةِ القُرآن الكريم ، وكَتَبَ الكثير بإذن النّبيّ ﷺ ، وبهذا ترجع ثقافة عبد الله بن عمرو في علم التَّفسير إلى النَّبع النَّبويّ الثَّرِّ ، فقد كَتَبَ وحَفِظَ عن النَّبي ﷺ الشَّيء الكثير ، ذكر عبد الله كتابته فقال : كُنَّا عند رسولِ الله ﷺ نكتبُ ما يقول[2] .

* روى البخاريُّ في كتاب العلم أنَّ أبا هُريرة قال : ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسولِ الله ﷺ منّي ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنّه كان يكتبُ ولا أكتب[3] .

* وجاء عن عبدِ الله بنِ عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه كان يكتبُ كلَّ ما يسمعه منَ النَّبيِّ ﷺ ، فنهته الصَّحابة عن ذلك وقالوا له : إنَّ النَّبيَّ ﷺ ، يتكلَّمُ في الغَضَبِ والرضا ، فلا

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٧٩ ـ ٩٤) وانظر : حلية الأولياء (١/٢٨٣) وتهذيب التهذيب (٥/٣٣٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٨٧) .

(٣) صحيح البخاري (١/١٨٤) في العلم ، باب كتابة العلم .

تكتب كلَّ ما تسمع ، فذكَرَ ذلك لرسولِ الله ﷺ ، فأومأ بأصبعهِ إلى فِيْهِ وقال : « اكتبْ فوالذي نفسي بيدهِ ما خرج منه إلا حقٌّ »[1] .

* وروى ابنُ سعدٍ في « طَبقَاته » عن عبدِ الله بنِ عمرو قال : استأذنتُ النَّبيَّ ﷺ في كتابة ما سمعته ، قال : فأذن لي فكتبته ، فكان عبد الله يسمّي صحيفته تلك : الصَّادقة[2] .

* وروى ابنُ سعد أيضاً عن مجاهد أنَّه قال : رأيتُ عند عبدِ الله بن عمرو بن العاص صحيفةً ، فسألتُ عنها فقال : هذه الصَّادقة ، فيها ما سمعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد[3] .

* هذا وقد بلغَ ما روى عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ سبعمئة حديث ، انفرد البخاريُّ بثمانية ، ومسلم بعشرين ، وهذا يشير إلى مدى المرتبة العلميّة التي بلغها عبد الله في مجال العِلْم والمعرفة .

---

(١) سنن الدارمي (١/١٢٥) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/٢٦١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٥/١٨٩) .

* ولعلَّ من أهمِّ منابع التَّفسير عند عبد الله بن عمرو ما أصابه من كتب أهلِ الكتاب ، ومعرفته اللغة السّريانية ، فقد تعلَّم عبد الله الكتابة والقراءة ، ويبدو أنَّه تعلم السّريانية أثناء فُتوحات بلاد الشَّام ، حيثُ شهدَ عبد الله مع أبيه هذه الفُتوحات ، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك ، وكانت اللغة السّريانية منتشرة في تلك البقاع .

* كان لعبد الله بن عمرو مجالس علمية في مصر والشّام والطّائف ومكة ، وفي كلّ مكان يحلّ فيه ، وكان رائد المدرسة العلمية بمصر ، وأخذ عنه كثير من علماء التابعين ، وكثير من المشتغلين بعلمِ التَّفسير ، وقد وردت في كُتُب التَّفسير الكثير من رواياته التي تشيرُ إلى علمه وفهمه ، وفضائل عبد الله بن عمرو كثيرة لا تحصى وعاش عمره للعلم والجهاد ، وتوفي بمصر سنة (٦٥ هـ) ـ رضي الله عنه ـ .

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البابُ السَّادسُ
اهتمام الصَّحَابَةِ بجمعِ وكتَابةِ القُرآن الكريم

- **الفصل الأوّل :**
  كتابةُ القُرآن الكريم في العَصْرالنَّبويّ .
- **الفصل الثّاني :**
  دقةُ الصَّحابة بجمعِ القُرآن الكريمِ .
- **الفصل الثّالث :**
  منهجُ الصَّحابة في كتابة المَصَاحِف .
- **الفصل الرابع :**
  من حقوق القرآن الكريمِ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأوّل

كتابةُ القُرآن الكريم في العَصْر النَّبويّ

* يُلاحظُ الباحث أنَّ القُرآن الكريم قد كُتِبَ كلّه في حيَاةِ الرَّسولِ ﷺ ، وحَفِظَهُ الصَّحابة الكرامُ سُوَراً وآيات ، وكلمات وحروفاً ، مع الضَّبْط والإتقان ، ولم ينتقل رسول الله ﷺ إلى الرَّفيقِ الأعلى ، إلا والقُرآن الكريم محفوظٌ في الصُّدور ، مكتوبٌ في السُّطور ، وتركهم على كتاب واحد ، ودِيْن واحد .

* وبُويع أبو بكر الصِّديق ـ رضي الله عنه ـ بالخلافةِ ، ولكنَّ حركةَ المرتدين كادت تضطرمُ لولا أنْ رماها الصِّدِّيقُ بأصلبِ عيدانه فأخمد أوارها ، وقطعَ رأْسَ الأفعى ، وقضى على مُسيلمة الكذّاب في موقعةِ اليمامة الشَّهيرة ، وقد استشهد في هذه الموقعة عدد من القُرّاء والحفَظَة ، وحملة القُرآن الكريم .

* قال القُرطبيُّ في مقدمة تفسيره : كان القَتْلى منَ القُراء في

هذه الغزوة سبعمئة ، وكان ذلك سبب جمْعِ القُرآن في خلافةِ أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ، واختار أبو بكر زيداً لهذه المهمة الجليلة ، ولذا قال له حين كلَّفه بالجمع : إنَّكَ شابٌّ عاقل لا نتّهمك ، وقد كنتَ تكتبُ الوحي للرَّسولِ ﷺ فشرع زيدٌ يجمعُ القُرآن منْ كلّ ما كتبَ فيه مما عنده ، وعند غيره من الرّقاع ، وقطع الأديم ، والعسب ، والأكتاف وغيرها ، مع موازنة ذلك بعضه ببعض ، وموازنته بما في صَدْره وصدر غيره من الحفّاظ ، يراقبه ويعاونه في ذلك كلّه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصَّحابة ، حتى وصَلَ إلى الغاية التي ترضي الله ورسوله ، فكتب القُرآن المتواتر المتلو كلّه في صحف منَ الورق مُرتِباً الآيات في سُورها على ما وقف عليه الرَّسول ﷺ أصحابه الكرام .

* * *

الفصل الثاني

دقةُ عنايةِ الصَّحابةِ بجمعِ القُرآن الكريم

* كان عملُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ في جَمْعِ القُرآن في غاية الدِّقةِ ومما يدلُّ على ذلك عناية الخُلفاء به ، وإجماع الأمّة عليه ، حتى إنَّ أبا بكر الصِّديق ـ رضي الله عنه ـ حفظ هذه الصُّحف في حياته ، ثمَّ حفظها بعده عمر ، ثم حفظتها من بعده حفصة أمّ المؤمنين[1] ، ثم طلبها عثمان لنسخ المصاحف بمحضرٍ من جمهور الصَّحابة ، وأقروا جميع ما فيها ، مع أنَّهم كانوا في غايةِ الحرص على كتابِ الله عزَّ وجلَّ ، لا يقبلون فيه شيئاً لم يقطعوا بسماعه منْ رسولِ الله ﷺ ، وكانوا لا يخشون في ذلك كبيراً ولا صغيراً ولا أميراً أو وزيراً .

---

(١) اقرأ سيرة أم المؤمنين حفصة بنت عمر في كتابنا « نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث » ولاحظ اهتمامها بالقرآن .

* قال الدكتور محمد حُسَين هيكل عن هذا العمل المبارك ، وتلك الدقة والعناية الفائقة بجمع القُرآن الكريم : قد كانت هذه الدِّقة في جَمْعِ القُرآن متصلة بإيمان زيد بالله ، فالقُرآن كلام الله جلَّ شأنه ، فكلُّ تهاونٍ في أَمْره ، أو إغفال للدّقة في جَمْعِهِ ، وزْرٌ ما كان أحرص زيد في حسْنِ إسلامه ، وجميل صحبته لرسولِ الله ﷺ أن يتنزّه عنه[1] .

* ولما تولّى عثمانُ بنُ عفان ـ رضي الله عنه ـ الخلافة ، اتسعتْ في عهدِهِ الفُتوحات ، وتفرّقَ المسلمون الحُفَّاظ في الأمصار ، فأخذ كلّ بلدٍ عن رجلٍ منَ القُرّاء ، وكانت وجوهُ القراءة التي يقرؤون بها القرآن مختلفة باختلافِ الأحرف التي أنزل عليها القُرآن ، فكان بعضهم يردُّ على بعضٍ فيقول أحدهم : قراءتي هي الصَّواب ؛ ويقول الآخر : بل قراءتي ، وكادت تكون فُرقةٌ لولا أنْ سارعَ حذيفةُ بنُ اليَمانِ ـ وكان يغزو في أرمينية ـ إلى عثمانَ بنِ عفان وأخبره بما رأى ، وبما سمع وقال : إنَّ الناس قد اختلفوا في القُرآن ، حتى إنّي واللهِ لأخشى أنْ يصيبَهم مثل ما أصابَ اليهود ، والنَّصارى من الاختلاف ، ففزعَ عثمان ـ رضي

---

(١) الصديق أبو بكر (ص ٣٤٣) طبعة مصر .

الله عنه ـ لذلك فزعاً شديداً ، فأرسل إلى حفصةَ : أنْ أرسلي إلينا بالصُّحف فننسخها في المصاحف ، ثمَّ نردّها إليك ، فنسخ منها مصاحف ، فبعث بها إلى الآفاق .

* * *

الفصل الثالث

مَنْهجُ الصَّحابةِ في كتابةِ المصَاحف

* اجتمعتْ ثلّةٌ من كبارِ حَفَظة القُرآن الكريم ، ومن علية الصَّحابة الكرام ، وولاية زيد بن ثابت الذي تلقى العرضَة الأخيرة ، وعملوا على جَمْعِ صحف أبي بكر وكتابتها تحت إشراف زيد والحفّاظ الكبار من أعلياء الصَّحابة .

* وعلى الرّغم من اعتمادهم على مصحفِ أبي بكر[1] ـ رضي الله عنه ـ وعلى الرغم منْ حفظِهم للقُرآن الكريم ، فقد كانوا يستوثقون فيما يختلفون فيه من الآيات ، فيسألون عنها مَنْ تلقّاها

---

(١) ظفر مصحفُ أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بإجماع الأمّة عليه ، وتواتر ما فيه ، وأكثر العلماء على أنَّ طريقة كتابته اشتملت على الأحرف السَّبعة التي أنزل بها القرآن ، فشابه في هذه الناحية الأخيرة جمع القرآن الأول على عَهْد رسولِ الله ﷺ .

من رسولِ الله ﷺ من جُمَّاع القُرآن وحفظته ممن كان همّهم الأوحد قراءة القُرآن الكريم والاستماع إليه ، والاستمتاع ببيانه ، فقد أكّد ابنُ الجزري أنَّ الاعتماد في نقل القُرآن على حفظ القلوبِ والصُّدور ، لا على خطِّ المصاحف والكتب ، أشرف خصيصة مِنَ اللهِ تعالى لهذه الأمّة .

* وقد رسمَ عثمان ـ رضي الله عنه ـ خطّةً حكيمةً ، ومنهجاً قويماً لكتابةِ المصاحف بموافقة الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، بما يجعل عمله كفيلاً بما أتيح له من كونهِ إماماً يُرجع إليه عند الاختلاف ، ومصباحاً يُهتدى به عند النِّزاع .

* إنَّ المنهجَ الذي اختطَّه عثمان ـ رضي الله عنه ـ يشيرُ إلى دقته وعنايته بكتاب الله عزَّ وجلَّ ، ويمكن أنْ نلخِّصَ ذلك المنهج بالنّقاط التّالية :

أ ـ أَمَر عثمان ـ رضي الله عنه ـ ألا يُكتبَ في المُصْحَفِ إلا ما استمرَّ متلُوّاً طوالَ حياةِ رسولِ الله ﷺ .

ب ـ ألا يكتب فيه إلا ما يتيقَّن كونه قرآناً ، بنقلِ عددِ التَّواتر له عن رسول الله ﷺ ، دون ما نقله الآحاد مهما كانوا ثقاتٍ وحُفَّاظاً .

ج ـ أنْ يُجرَّدَ منْ كلِّ ما ليس قُرآناً كالذي كان يكتبه بعض الصَّحابة في مصاحفهم الخاصّة شرحاً لمعنى ، أو بياناً لناسخٍ أو منسوخ ، أو نحو ذلك .

د ـ أنْ يُكتبَ القُرآن الكريم كلّه في ذلكَ المصحف مرتبَ الآياتِ في سورها على ما وقفهم عليه النّبيّ ﷺ .

هـ ـ أنْ يكتب منه مصاحف متعددة ليرسل إلى كلّ مصر واحد منها للرجوع إليه .

ز ـ أن يكتبوه بلسانِ قريش عند اختلافهم كما قال عثمان : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ ، فاكتبوه بلسانِ قريش ، فإنّما نزل بلسانهم .

* وهكذا وبهذا العمل المُتْقَن لجمعِ القُرآن الكريم ، قطع دابر الفتنة ،وحسمت مادة الخلاف والاختلاف ، وحصّن القرآن العظيم من أن يتطرّق إليه شيءٌ من الزِّيادة والتَّحريف على مرِّ العصور ، وتعاقب الأزمان .

* * *

الفصل الرابع

من حقوقِ القُرآن الكريم

* عَرَف أصحابُ رسولِ الله ﷺ حقَّ القُرآن الكريم ، فقد : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧ ـ ١٨] .

* أدركَ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قَدْرَ القُرآن الكريم ، وذكروا الله عزَّ وجلَّ بقلوبهم تعظيماً له ومعرفةً لجلالهِ ، فكانوا يتلُون القرآن ، وكانت حِلْيتهم كلماتُ الرّحمن ، كما كانت حياتهم متعلّقة بالقرآن دراسة وحفظاً وفهماً وتفسيراً وعلماً وعملاً ، فكانوا بالقرآن سادة الدُّنيا ، وأرباب السِّيادة في كلِّ ميدان .

* ولا بدّ لنا ونحنُ في نهايةِ المطاف انْ نشيرَ إلى بعض حقوقِ القُرآن الكريم على بني البشَر ، إذ للقرآنِ حقوقٌ كثيرةٌ على الإنسان ـ وخاصة المُسلم ـ لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها ،

ولكنّا نوردُ بعض تلكم الحقوق لنعمل وِفْقَ منهجها :

* إنَّ أوَّلَ حقٍّ منْ حقوقِ القُرآن الكريم على بني الإنسان ، وعلى المسلم أنْ يؤمنَ بأنَّه كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ الذي أنزله على قلبِ رسوله محمّد ﷺ ، وهو خاتم الكُتب السَّماوية ، كما أنَّ محمّداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

* ومن حقوقِ القُرآن الكريم علينا أنْ نعظِّمه غاية التَّعظيم إعظاماً لقائله عزَّ وجلَّ ، وعرفاناً لفضله على العالَم ، فلولا القُرآن الكريم لما خرج العربُ من الجاهليّةِ إلى نورِ العِلْمِ ، بل لما خرجتِ البشريةُ كلّها من الظُّلمات إلى نورِ الحضارة والمعرفة .

* وإنَّ من حقِّ القُرآنِ الكريم على كلّ مسلم أنْ يتلوه حقَّ تلاوته ، وأنْ يخشعَ قلبه لذكْرِ الله ، وما نزلَ من الحقِّ ، وأنْ يحفظَه ويستظهره ، وأنْ يتدارسه مع حُفَّاظه وحَمَلته ، ويفهم معانيه ، ويدرك مقاصده ، ويعتبر بأمثاله ومواعظه وقصصه ، ويغوص على درره ويواقيته ، فالقُرآن لا تفنى عجائبه .

* وإنَّ من حقِّ القُرآنِ الكريم على كلِّ مسلم أن يفهمَ علومه ، ويقفَ مع أحكامهِ ، فيسيرُ وِفْقَها في حياته وسلوكه وخُلُقه ، فلقد كان خُلُقُ رسولِ الله ﷺ القُرآن .

* ومن حقِّ القُرآن الكريم أيضاً أنْ تُبلَّغَ دعوةُ الإيمانِ به ؛ فقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يبلِّغ بالقرآن ، وقد حضَّ على ذلك فقال : « بلِّغُوا عنّي ولو آية »[1] .

* وبعد ... اللهم وفِّقنا للعمل بكتابكَ الكريم كما تحبُّ وترضى . اللهم اجعلِ القُرآنَ العظيم ربيعَ قلوبنا ، ونور أبصارنا . وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العَالَمين .

* * *

(١) رواه البخاري .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
الباب الأول : القرآن الكريم ينبوع الحياة ١١
الفصل الأول : في رحاب التنزيل ١٣
الفصل الثاني : أثر القرآن الكريم في فصحاء قريش ١٥
الفصل الثالث : تأثير القرآن الكريم بنفوس الصحابة ١٩
الفصل الرابع : القرآن يهز كيان الأنصار ٢٦
الباب الثاني : تعامل الصحابة مع القرآن الكريم ٢٩
الفصل الأول : الصحابة وقراءة القرآن الكريم ٣١
الفصل الثاني : أدب الصحابة مع القرآن الكريم ٣٤
الفصل الثالث : تحسين أصواتهم بالقرآن الكريم ٣٦
الفصل الرابع : أصوات جميلة ٤٠
الباب الثالث : القرآن الكريم قدوة الصحابة ٤٤
الفصل الأول : الصحابة أسوة حسنة في القرآن الكريم ٤٥
الفصل الثاني : اهتمام الصحابة بالقرآن الكريم ٥٠

الفصل الثالث : تعلم الصحابة للقرآن الكريم ٥٧
الباب الرابع : الصحابة وحفظ القرآن الكريم ٦١
الفصل الأول : هل حفظ الصحابة القرآن الكريم ؟ ٦٣
الفصل الثاني : عوامل حفظ الصحابة للقرآن الكريم ٦٨
الفصل الثالث : مشاهير الصحابة الحفاظ ٧١
الباب الخامس : الصحابة وتفسير القرآن الكريم ١٠٤
الفصل الأول : نواة التفسير عند الصحابة ١٠٥
الفصل الثاني : هل فهم الصحابة القرآن الكريم كاملاً ؟ ١٠٨
الفصل الثالث : طرق التفسير ومنابعها عند الصحابة ١١١
الفصل الرابع : المفسرون من الصحابة ١١٤
الباب السادس : اهتمام الصحابة بجمع وكتابة القرآن الكريم .. ١٢٩
الفصل الأول : كتابة القرآن الكريم في العصر النبوي ١٣١
الفصل الثاني : دقة عناية الصحابة بجمع القرآن الكريم ١٣٣
الفصل الثالث : منهج الصحابة في كتابة المصاحف ١٣٦
الفصل الرابع : من حقوق القرآن الكريم ١٣٩
فهرس الموضوعات ١٤٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com